# ثقافة الهند

Vol. L Nos. 1-2 1999

المجلد ٥٠ العدد ١-٢

١٩٩٩م

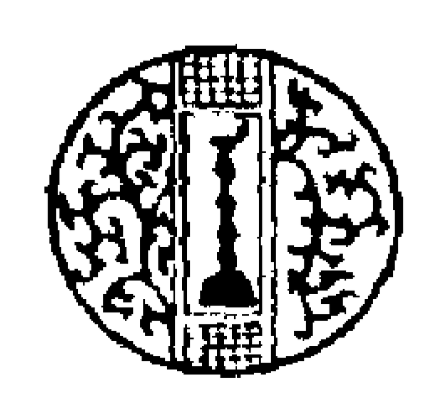
المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

# ثقافة الهند

المجلد ٥٠ العدد ١ـ٢

١٩٩٩م



المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهي

الهند

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية انشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافيه و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" و في الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الاسبانية "Papeles de la India" و في الألمانية "Indien in der Gegenwart" في الهندية "Gaganancha1" و كلها يصدر أربع مرات في السنة.

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub.)

Indian Council for Cultural Relations

Azad Bhavan, Indraprastha Estate

New Delhi- 110002. (INDIA)



بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس كالآتي :

| ثمن النسخة | الاشتراك السنوي | اشتراك ثلاثة أعوام |
|---|---|---|
| ٥٠ روبية | ١٠٠ روبية | ٢٥٠ روبية |
| ١٠ دولارات | ٤٠ دولارا | ١٠٠ دولار |
| ٤ جنيهات | ١٦ جنيها | ٤٠ جنيها |

نشرها وطبعها السيد هيماتشل سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية. آزاد بوان، نيو دلهي ، الهند.

طبعت في مطبعة سائبرآرت انفارميشنس برائيويت لميتيد

سي ٢، كانو تشامبار، سانول ناغر، نيو دلهي ١١٠٠٤٩.

رئيس التحرير: البروفسور زبير أحمد الفاروقي

# كلمة التحرير:

يتميز هذا العدد باحتوائه على مقالات خاصة حول الانجازات التي حققتها الهند في المجالات المختلفة عبر السنوات الخمسين التي مضت على استقلالها و في مقدمة تلك المقالات ما كتبه بي - في ناراسمها راؤ رئيس الوزراء السابق تناول فيه التطورات الاقتصادية و السياسية مع تقييم الاكتفاء الذاتي الذي حققته البلاد في الغذاء و الكساء رغم ازدياد كبير في تعداد السكان. و بينما تناول ناراسمها راؤ تقدم البلاد على الصعيدين الاقتصادي و السياسي. قام جيه - ان - ديكسيت باستعراض و تحليل السياسة الخارجية للهند على ضوء اتجاهاتها و التحديات التي واجهتها خاصة منذ منتصف الثمانينات عندما تولى راجيف غاندي زمام الحكم و اتخذت مبادرات سياسية جريئة و منها ما تمثل في سياسة الانفتاح تجاه أمريكا مع الحفاظ على العلاقات مع الاتحاد السوفياتي و تطبيع العلاقات مع الصين و باكستان، و خصص جزءاً كبيراً من المقال لتقييم الميزات الدائمة للسياسة الخارجية و تبرير التجارب النووية التي قامت بها الهند تجاوباً على المتطلبات الامنية. هذا عن التطورات التي شهدتها الهند في العقود الزمنية الماضية، اما عن سيناريو المستقبل فهناك مقال تحت عنوان "رؤية لهند متقدمة" كتبه العالم المعروف ايه - بي - جيه عبد الكلام و نوّه فيه بالأمور التي لابد منها لتحويل الهند من دولة نامية إلى دولة متطورة تتميز بالأمن القومي و الضمان الاقتصادي و الغذائي و الاجتماعي.

تعرف كشمير في سائر انحاء العالم بجمالها الطبيعي الفاتن و قد تغنى به بعض الشعراء العرب أيضاً و لكن لا يعرف إلاّ قليل من الناس أن لكشمير

مساهمة عظيمة في تطوير العلوم و الفنون و كانت مشهورة بالاهة العلم في زمن من الأزمان حيث كانت مثل "سوق عكاظ"، و ذاعت العلوم المختلفة في كشمير في العصور المختلفة. و قد ألقى د/ محمد مظفر في مقاله "النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم" ضوءاً تفصيليا على الخلفية الجغرافية و التاريخية لكشمير قبل استعراض شامل للنشاطات العلمية في كشمير في عهد السلاطين.

كما يتضمن العدد مقالاً تفصيلياً تحت عنوان "مساهمة ألطاف حسين حالى في النقد الأردوي" تناول فيه الكاتب دور الريادة الذي قام به الناقد المعروف الطاف حسين حالى في تطوير النقد باللغة الأردية، و ذلك عن طريق كتابه الشهير"مقدمة شعر و شاعرى" و في آخر المقال أشار إلى ماهناك من مماثلة فكرية بينه و بين "الغربال" لصاحبه ميخائيل نعيمة.

و في مقال مهم آخر نوه د/حبيب الله خان بالاهتمام المتواصل لدى العرب و الهنود على السواء بنشر الأفكار و الفلسفة الهندية عن طريق ترجمة مؤلفات الكتاب البارزين من الهند حول الموضوعات المتنوعة و تتبع تاريخ جهود العرب في هذا المجال منذ عهد الخليفة العباسي المنصور إلى يومنا هذا.

و أرجو أن يكون هذا العدد بمحتوياته المتنوعة مصدراً غنياً للمعلومات عن الهند.

**د/ زبير أحمد الفاروقي**

# مجلة ثقافة الهند الفصلية

## المجلد ٥٠ العدد ١ ـ ٢

١٩٩٩م

## محتويات العدد

# الهند في عامها الخمسين: رؤية شخصية

بقلم: ناراسيمها راو*

إن خمسين سنة ليست فترة طويلة جدا في تاريخ بلد عتيق ممعن في القدم. و مع ذلك إن تاريخ الهند منذ الاستقلال الذي يمتد على خمسين سنة واسع لدرجة لا يمكن معالجته بصورة مستفيضة في مقال قصير. و إن ما أقوم به هنا هو بمثابة أن أعرض جبلاً شامخاً في مرآة صغيرة.

**الاقتصاد:**

و في هذا التقييم، نبحث عن الاقتصاد أولا، فإنه يعكس الوضع الحالي في أول نظرة. و هنا نحتاج لأن نطرح جانبا نزعتنا إلى شجب الذات و إلى إطراء الذات المفرط كليهما. فأولا انظروا إلى خطورة الواجب الذي استلزمه اقتصادنا خلال الفترة التي نحن بصدد البحث عنها. فقد تضاعف عدد السكان منذ الاستقلال ثلاثة أضعاف. و لم يكن هذا الازدياد نتيجة انفجار مفاجئ في معدل الإنجاب في الهند الحرة. فقد كان معدل المواليد مرتفعا فعلا في الماضي، و لكن معدل الوفيات أيضا كان عاليا. إن مشاريعنا الصحية في الأعوام الخمسين الماضية، و لو لم تكن رائعة، و لم تنجز كثيرا مما كنا نتوق إليه، قد حققت تحسنا ملحوظا في مجال بقاء الأطفال، و بقاء الأمهات، و في التخلص من عدة أمراض معدية و غير معدية ـ و بالتالي قد زادت من صافي التعداد السكاني و مدى العمر المتوقع. و هذا مثال باعث على السرور.

---

*رئيس وزراء الهند الأسبق

و مع هذا التعداد السكاني المتزايد، حققنا الاكتفاء الذاتي في مجال الغذاء و الكساء. و قد أثبت الفلاح الهندي أنه، حتى بدون تعليم رسمي، يسارع إلى تبني كل طريقة علمية يتعرف عليها، حالما يقتنع بأنها تجلب له الفائدة. و هذا يبشر بالخير للمستقبل.

على كل، إن الهند لم تحقق إنجازاً كبيراً على الجانب الكمي الشامل حيث إنها كانت فقيرة فعلا حينما نالت الحرية، إنها لم تستطع أن توفي بالاحتياجات المتزايدة على المستوى الجماعي، و ذلك بالإضافة إلى ركام ضخم من الاحتياجات و المشاكل التي ورثتها مع الحرية: التعليم الابتدائي و الثانوي، و الصحة الأولية، و الإسكان للفقراء، و المستويات الأساسية للتغذية و ما إليها على المستوى الجماهيري. و قد قلت "إنجازا كبيرا" لأنه حتى في هذا المجال، إن ما تم إنجازه كان هائلا (مثل التوسع الضخم للتسهيلات التعليمية و ما إليها)، و لكن الاحتياجات ازدادت بسرعة أكثر مما أدى إلى النقص الإجمالي. و إلى جانب ذلك، إن التوسع الكمي لم يصحبه أو يتبعه التحسن النوعي في مجال التعليم مثلا. و كان السبب الرئيسي (و إن لم يكن السبب الوحيد) لكل هذا النقص هو قلة الموارد أو الفقر المستمر، و لم يكن أي تعقد موروث في تقديم حل للمشاكل، و على الأقل في حالات عديدة. و إذا استطاعت الحكومة أن تبني عشرة ملايين بيت ريفي مثلا فإنها أيضا كانت تستطيع أن تشيد عشرين مليون أو أكثر منه، أيا كان الحزب السياسي الذي حكم في البلاد. و هذه حقائق أساسية لا يمكن دحضها.

فمن الواضح أن تامين الدخل الاكثر للناس على جميع المستويات هو الحل الأساسي لجميع هذه المشاكل، إذا سوف لا تضطر البلاد لأن تخسر استقلالها أو تصير مستجدية أو متكلة على الغير. على أية حال، إن الهند كبيرة

لدرجة لا يمكن لها أن تجد متصدقا مناسبا أو دعامة كبيرة تتكئ عليها في سائر الأوقات، بدون أن تحطم الدعامة نفسها. فالفيل الهندي يجب أن يقوم على قدميه. و هذا ينسجم تماما و التفكير الهندي التقليدي الذي يقوم بتقديس " العمل" بطرق شتى. و في "غيتا" (Gita) يقول اللورد نفسه:

(لم يوصف أي عمل لي في العوالم الثلاثة، كما لست في حاجة إلى أي شئ. مع ذلك أقوم بعملي [كارما] في جميع الأوقات) و وفق هذه الرؤية التي تمجد "كارما" لا مكان للكسل، و حتى البطالة المعوضة ليست بديلا مناسبا للتوظف الحقيقي المثمر. و إن التوظف ليس مرتبطا بكسب القوت فحسب، بل له تاثير عميق على الاحترام الذاتي للإنسان.

و هلم بنا نبحث الآن عن الأساس المنطقي لنمط الاقتصاد المخلوط الذي تم اختياره في بداية الخمسينات تحت قيادة جواهر لال نهرو. و هنا أقص حكاية شخصية لإيضاح هذه النكتة. فقد كان ذلك عام ١٩٥٢م حين التقى بي أحد من أصدقاء صبايي ، و كان ابن طبيب يعمل في مستشفى تبشيري تديره دولة غربية معروفة في بلدة مديريتي، و ذلك مصادفة في حيدرآباد في إحدى زياراته للهند. و أخذنا نتجاذب أطراف الحديث حول موضوعات شتى، بمافيها فكرة القطاع العام بصورة عامة و فكرة مصنع للفولاذ بصورة خاصة في الهند. و قد كان مشمئزا بما كان يتصور عن أعمالنا في هذا البلد لدرجة أنه صاح قائلا، و طبعا في لهجة صديق: "ماهذا الجنو٣ن! لماذا تحتاجون لمصنع للفولاذ، حينما ترضى بلادي بإعطاءكم قدرما تحتاجون إليه من الفولاذ؟ و ما هذه السيارات الخرقاء التي تركبونها؟ نحن نستطيع أن نزودكم بأي عدد من السيارات الجميلة" و ما إلى ذلك. فشكرته على شهامته و حسن نيته، و لكن بخلاف ذلك إن الأسلوب الذي اختاره قد أقنعني أكثر من ذي قبل بضرورة القطاع العام في الهند في تلك الآونة.

و إن القطاع العام، بحكم تحكمه في الاقتصاد، كان من المتوقع أن يعنى بإنشاء البنية التحتية من الموارد العامة و بتوسيع نطاقها من مكاسبها، إلى اقصى حد ممكن. و لكن لأسباب عديدة لم يحدث هذا، و على الخلاف إن القطاع العام نفسه قد امتص الموارد العامة أكثر فأكثر عقدا تلو عقد. إن البنية التحتية الأساسية التي كان أنشأها القطاع العام كانت ضخمة بأي مقياس، و قد جلبت نفعا كثيرا للبلاد. غير أن الحكومة لم تكن قادرة على رصد الموارد المالية بصورة مناسبة لتوسعتها المحتاجة إليها بشدة و لتحديثها في الوقت المناسب، مما أدى إلى الركود، و قد زاده الإهمال سوءا إلى سوء.

إن منفعة الاستثمار الخارجي، حينما تم تجربته لأول مرة على مستوى كبير في عام ١٩٩١م (مع أنه كان قد بدأ في النظم السابقة) كانت تتمثل في إعفاء الحكومة من التزاماتها الجسيمة حول مشاريع البنى التحتية الهائلة (مثل الطاقة، و السماد، و الطرق العامة و ما إليها). و نظراً إلى هذه الأولويات التي لا مندوحة منها لم نستطع أن ندخر موارد مالية كافية لتنمية الموارد البشرية. كانت الحكومة قد وزعت مواردها المالية على مشاريع عديدة شيئا فشيئا لزمن طويل جدا. فلو كان الاستثمار الخارجي فحسب عني بجزء كبير من هذه المشاريع العملاقة الخاصة بالبنية التحتية، لكان ذلك جعل الحكومة قادرة على توظيف الجزء الأكبر من مواردها نفسها في مجال التعليم و الصحة و المساعدة الاجتماعية. و إلى جانب ذلك كان المرجو من التصنيع أن يخلق فرص الوظائف للقطاع المثقف. و قد كان هذا في نظر رجل الشارع، على أية حال، الفائدة العملية للاستثمار الخارجي (الذي كان يتصور استثمارا من خارج الحكومة سواء كان من أصل خارجي أو هندي)، و قد اعتبره استثمارا زائدا هائلا لصالحه هو. أما الاقتصاديون فقد قلبوا الأمور على سائر جوانبها، و أعربوا في الواقع عن

الرأى نفسه في قليل أو كثير و أشياء كثيرة عن الجانب النظري الذي لا حاجة بنا أن نخوض فيه. و قد لعبت وزارة المالية دورا قياديا في صياغة السياسة المعدلة و في تنفيذها، كما شاركت الوزارات الاقتصادية الاخرى في هذه العملية باسم الإصلاحات الاقتصادية التي حظيت بالإجماع إلى حد كبير منذ ذلك الحين.

و قد سارت الأمور في البداية كما كان أريد أن تسير. فقد تم تخصيص مبلغ هائل يبلغ ثلاثين مائة مليون لتطوير الأرياف في الخطة الخمسية الثامنة، بالمقارنة إلى ألف مائة مليون تقريبا في الخطة الخمسية السابعة. و قد شكل هذا التزاما شجاعا بأن الهند سوف تزيد من مصاريفها على التعليم إلى ٦ في المائة من إجمالي الناتج القومي مع نهاية الخطة التاسعة، و ذلك عن طريق تدشين مشاريع عديدة تستهدف كل مجموعة للفقراء تقريبا، و مشاريع مدروسة للمساعدة الاجتماعية على مستوى الوطن كله - و إن هذه الخطوات تكفي لنري كيف بدأ انفتاحنا مبشراً بالنجاح، و زاد من ثقتنا بالنفس. و استمر تدفق الاعتماد المالي لتطوير الأرياف إلى الوكالات المعنية بتطوير الأرياف في المديريات بصورة مستديمة، بل في عدة حالات إن المبالغ التي أرسلت من دلهي كانت سبب جميع النشاطات التنموية في الولايات. و فوق ذلك يجب التاكيد على أن انفتاح الهند كان مطابقا تماما لاحتياجات و أرجحيات البلاد الخاصة. فعلى سبيل المثال لم يتم تبني أية سياسة "Exit" لأنه لم يكن من الممكن أن يغض النظر عن الخطر الناشيء عنها و هو أن أعدادا كبيرة من العمال يفقدون وظائفهم. و بدلا منه تم التفكير في انشاء صندوق التجديد القومي لهذا الغرض، مع أنه كان فيه بعض العيوب، و كان في حاجة إلى أن يحسن مع مضي الوقت. و إلى هذا، إن الانفتاح في الهند، بخلاف دول أخرى، لم يكن بحكم الطبع يعني

خصخصة كاملة. فقد قالت الحكومة بصورة واضحة للمستثمرين المحتملين ألا يحلموا بالسيطرة على وحدات قطاعنا العام، و لكن يركزوا عنايتهم على إنشاء صناعات جديدة تحقيقا للمتطلبات الواسعة التي لم يستطع القطاع العام تحقيقها. و بهذا إن التفكير الجديد لم يمثل تحديا لاقتصادنا المختلط. و إن الحكومة قد غيرت عملية الاختلاط فحسب حسب مقتضى الزمن. و هذه السياسة، كما أفهم، لا تزال مستمرة.

على كل، إن مجموع مبالغ الاستثمار الخارجي لم يكن كبيرا لدرجة يكفي لإحداث تغيير حقيقي في الأوضاع، مع أن الاتجاه كان صائبا. و إن ازدياد الاستثمار بمائة ضعف أيضا لن يكون ذا شان كبير في هذا البلد الواسع للاستثمار. و من الأسوأ أن التاكيد على البنية التحتية أصبح ضعيفا، فكانت النتائج ضئيلة. و في حالة اهمال البنية التحتية سيكون من العسير أن نتبين أن الاستثمار الخارجي على مستوى كبير سيكون ذا نفع خاص لعامة الشعب. إن قطاع الطاقة - مثلا - يستحق أن يوضع في مقدمة الأرجحيات. إن بعض أسباب هذه النقائص كما يزعم هو رؤية المستثمر عن استقرارنا السياسي و المشاكل العملية في إعادة تنظيم الإجراءات. قد تم إنجاز شيء كثير، و هذا مما لا يمكن إنكاره، غيرأن هذا عملية مستمرة، و لا يمكن استعجاله لأسباب واضحة إلا إلى نقطة خاصة فقط في وقت من الأوقات. و بالرغم من نلك إن الاستثمار في مجال البنية التحتية جدير بأن تبذل جهود جبارة للحصول عليه، و في حاجة إلى مجهودات مزيدة. و بالإضافة إلى نلك، بعد تجربة الخط الجديد للسياسة و العمل لما يزيد عن ثمانية أعدام، إنه من المناسب الآن أن ننظر إلى الوراء و نقوم بتقييم تاثيراته الواقعية في قطاعات مختلفة من الناس، و بخاصة أولئك النين يشكلون الطبقة الأكثر احتياجا للهرم السكاني.

**و إن الاتجاهات التي ينبغي تكثيف الجهود القومية فيها بعد هذا تتضمن بالاختصار:**

أـ ازدياد الدخل إلى آخر المستويات الدنيا للهرم السكاني. إن كل طبقة في حاجة إلى أن تغطى بصورة واعية، إما على حدة أو بصورة جماعية. إن قلة الدخل أو الوصاية لن تؤتي اكلها في الأوضاع الراهنة.

ب ـ تحديد التعداد السكاني على مستوى معين بحلول وقت محدد من ذي قبل. و مما لا يخفى انه يجب أن يتحقق هذا على مستوى مرتفع جدا، حتى يتصف بالواقعية. و لكن يجب أن يكون معينا. و كما هو من المعلوم أن لها قصة محزنة. و إن هذا الموضوع يبدو إلى حدما كأنه شيء خطر ملقى على الشارع، و كل شخص يحذرك من الاقتراب منها. إن الأعداد المتغايرة جدا للولايات المختلفة توضح نفسها بنفسها بدون حاجة إلى مزيد من الإيضاح. و بعض الولايات فيما يبدو تواجه عراقيل هائلة، و لكن عدد من يرضون بالتحدث عنها ليس بكبير.

ج ـ تطوير البنية التحتية للموارد البشرية. إن هذا مجال واسع، و لا يحتاج للإيضاح. و كل ما اقترحه بقوة هو أن التعليم ينبغي أن يتضمن "المهارات" من البداية. إن النجاح الباهر الذي قد حققته مؤسساتنا التقنية يبرر هذا الاقتراح تبريرا مقنعا. فإن أبناءنا و بناتنا المتخرجين من المؤسسات التقنية يحصلون على وظائف رابحة خارج البلاد، و حتى قبل اختباراتهم النهائية. و إنهم قد اكتسبوا سمعة طيبة بناء على اجتهادهم و ذكاءهم.

قد حققت البلاد إنجازات في عدة مجالات أخرى أيضا، مثل الاعتماد الذاتي في مجال التكنولوجيا، و الوعي المتنامي للبيئة، و الاستعداد الدفاعي،

و الـوعي الاجتماعي، و إدارة السياسة الخارجية و ما إليها. و هي على أهبة تامة لـلـتـقـدم الـمستقبلي. كما هي على استعداد للسعي لمزيد من المكاسب العليا- لـنـفـسـهـا و لـلـعـالم - و هي مكاسبها نفسها في الواقع بصفتها جزءا من العالم. و سـواء كـانت انفجارات بوكهران - ٢ تزيد من هذه الإمكانية أو تقلل منها - حيث لا مـنـدوحـة من إحـدى الـحـالتين - ليس هناك حرج أن ننظر بنظـــرة متفائلة حتى .........

**المنظر السياسي:**

إن الـهـنـد كـبـرى جـمـهـوريات العالم، و هي ميزة خاصة بها. و نحن نعلم جمعيا أنها نظام للحكم و منهج للحياة كلاهما، كما هي غاية في ذاتها و وسيلة إلـى تـحقيق غاية أيضا. و هي إذا أخفقت في تحقيق إحدى هذه الغايات فإنها لا مـحـالـة تتورط في مشاكل و عراقيل. و هذا ننير بالسوء في بلد فقير قديم عامر بـالـسـكان و مثقل بتاريخ طويل للنزاع السياسي للقوة الشخصية أو العائلية في مـعـظـم الأحـيـان. و لـكن الـجـانـب المشرق منه هو أننا لا نزال نتمتع بانسجام حضاري و وئام اجتماعي بين الناس يجمع شملهم و يخفف من آثار النزاع.

و سـواء بـسـبب كثرة المنافسين (الذين يبلغ عددهم في بعض الأديان إلى ألـف شـخـص لـمـقـعـد واحـد) أو لـعـوامـل عـديـدة أخـرى، إن مـبـنى و عملية الـديـمـقـراطـيـة يـرتـعـشان اليوم ارتعاشا كبيرا، و لا يقدران على وضع "كرسي الـحكم" في مكانه الصحيح المستقر، و لو بصورة مادية. و منذ أعوام مضت، لا يـسـتـطـيـع أي إمرء أن يوضح الانتداب الواقعي الذي يفوضه الناس في انتخاب مـعـين. إن كـل حـزب سـيـاسـي لـه مبرر كامل لأن يقول إن أي حزب آخر لم ينل انـتـدابـا أفـضـل مـمـا نـاله هو، فشاركت عدة أحزاب معا الكرسي، كل لأهدافه الـمـخـتـلـفة الخاصة. و في هذا الزحف المرهق، لم يقدر بعض منها فيما يبدو

حتى على الجلوس على نحو مستقر، فيبدو أن هذا النظام قد أصبح غير مستقر و غير قابل للتنبؤ خلال عدة أعوام ماضية من الخمسين عاماً الذي كان فيه موضع التنفيذ. و هذا مما يبعث على القلق.

و إن الجانب الآخر للديمقراطية أعني إسداء الخير إلى الناس هو الآخر بالغ الأهمية لتعزيز هذا النظام نفسه. و تتطلب الديمقراطية حتى تبقى حية أن يشارك فيها الناس مشاركة فعالة. و نحن نجد أن عدة أسئلة أساسية تثار في بعض الدوائر بعد الخمسين عاماً من الحكم الديمقراطي. و إنها تطالب بميزانية واضحة و صادقة للنجاح و الفشل و الذي يمكن أن يعزى بصورة جلية إلى النظام نفسه. و لو كنا لم نعتمد هذا النظام فهل كان البلاد في حالة أفضل أو أسوأ اليوم؟ فبعضهم يعتقد في أن القوة الدافعة للوحدة الاقتصادية و الحضارية، مضافاً إلى الحقيقة أننا شعب حر الآن، كان قد جلب التقدم للبلاد بأية طريقة. و يذهب البعض الآخرون حتى إلى التصريح بما ينم عن بلادة فكرهم بأننا كنا في وضع أفضل تحت أي نظام آخر. و الجواب الجرئ الآخر على السواء يأتي من قبل عديد من الناس الذين مقتنعون بأنه بدون الديمقراطية ما كنا أنجزنا أي شيء ماعدا التاريخ المعروف للفوضى القروسطي في كل مكان. و هذا هو على الأغلب ما كنا رجعنا إليه. و لكن ما يسبب الذعر هو أن هذا النوع من النقاش يثار بعد خمسين سنة، مما يدل على أن الديمقراطية مازالت في فترة التجربة.

هناك سؤال آخر: كم قدراً من العناية نستطيع في الواقع تركيزه للمشاكل الأساسية الهائلة للبلاد؟ إن هذا، بالطبع، يتوقف على مدى ارتباط الصوت الانتخابي بتلك المشاكل. و كان المعتقد البسيط في البداية أن الأحزاب السياسية تتقدم إلى الناخبين بأنواع من البرامج التي يحتوي عليها بيانها

الرسمي، و في ضوء ذلك يختارها الناخبون. و لكن خلال مدة قليلة، جعلت عملية التصويت نفسها وسيلة لتحقيق أهداف مختلفة جدا. فعلى سبيل المثال، إن بعض الأصوات تكرس بصورة كاملة لمنع مرشح أو طبقة أو شريحة من الناس (أو حزب سياسي) من الفوز، و هي تشكل بيانا رسميا ذا مادة واحدة، معارضا لهذا أو ذاك. و لا يوجد هناك أي برنامج آخر لأن معارضة شيء هي في ذات نفسها البرنامج الوحيد، ثم دخل العنصر الشخصي بصورة تدريجية، و ترسخ في العملية السياسية. و لم يعد إسداء الخير إلى الناس الغرض الوحيد، و أخذ جلب المنفعة لفرد من الأفراد يتغلب أكثر فأكثر. و صار بعض من ممثلي الشعب عرضة لهذا الإغراء. و فيما يخص الناخبين أنفسهم فإن الغرض هو نفع اليوم في آلاف من الحالات، بدون اهتمام للخمسة أعوام القادمة! ثم نجد نزاعات حزبية، من قديمة و جديدة، تتمثل في السلسلة الوراثية الطويلة للاغتيالات الثنائية و المقاضاة المدمرة. و النوع الأقل دموياً للنزاعات الذي ظهر للعيان في مناطق عديدة هو محاولة الزعماء لهزم بعضهم البعض في الانتخابات أو السعي للإطاحة بهم بعد الفوز في الانتخابات. إن كل هذا لا ينسجم و الهدف الأساسي للانتخاب، بل يلوث النظام. و يشبه هذا الوضع الثأر الإقطاعي الذي يرثه جيل عن جيل.

على كل، إن الحقيقة التي لا تنكر أن آلافا من الذين يدعون بالعمال السياسيين شاركوا في النضال لأجل الحرية. و ألقي القبض على عديد منهم و زج بهم في السجون. و منهم من ضحوا بحياتهم في مواجهات مع الحكومة الانجليزية. و لكن العدد الأكبر كان يشتمل على أولئك الرجال و النساء المتحمسات الذين كانوا يشكلون الوجه الأكثر ظهورا للجماهير المحتشدة الذين خرجوا بشجاعة ليتظاهروا بعزائمهم، فبعض منهم ضربوا بالأسواط

و أطلق سراحهم، و أخذ بعديد منهم إلى وسط الغابات المحمية و تركوا فيها، حتى يشقوا طريقهم راجعين في صحبة البهائم الضارية في ليال قاتمة هالكة. و لما حصلت البلاد على الحرية فتقلد بعض الزعماء مناصب الوزراء، أما العمال الذين لم يكونوا أقل ثملا بوهج الاستقلال فبقوا بدون عمل يشتغلون به، و صاروا نشطاء في زمن الانتخابات فقط. و لاحقا، تم انتخاب بعضهم لمناصب السلطة القروية و بعض اللجان المحلية، أما البقية فكانوا بدون مناصب. و كان عديد منهم من مجاهدي الحرية بحكم حقهم الشخصي. و تم الاعتراف بتضحياتهم إلى حدما عن طريق مشروع المعاش الذي استهلته انديرا غاندى، توفيراً لهم ما يسد جوعهم و يقيم أودهم. و كان من الممكن أن يشتغل أولئك الذين بقوا على قيد الحياة في نشاطات بنائية في القرى، كما قد اشتغل بها بعضهم حقا. غير أنه لما تم تشكيل الحكومة، وجد معظم النشطاء السياسيين أنفسهم بدون عمل، فلجأ عديد منهم إلى تلك المجموعات التي برزت إلى حيز الوجود في ذلك الزمن، و تم امتصاصهم في الرعاية الانفرادية و ربما الطبقية أيضا حيثما كان ذلك متاحا، و أصبحوا برغبة منهم أو بدون رغبة، جزءا من البيئة الموبوءة بالحزبية التي خلقها القادة الأقوياء. و بهذا تشوهت الوطنية الطبيعية العظمية لعامة الجماهير و التي كانت جلية في المراحل السابقة إلى حد كبير. و كان ذلك تطورا محزنا. و الاسوأ منه هو الاتهام الناتج منه بأن الرجل السياسي هو مصدر وحيد لكل ما هو فاسد و شر اليوم.

و مهما كانت النظرية أو العقيدة، إنه من الواقع أن السياسة برزت كمهنة حيث لا يوجد فيها أمن و لا اعتراف كبير للأعمال المنجزة، لأن التوكيد دائما

يكون على ما لم يتم إنجازه، و بالتالي يوجد ارتياح قليل بالوظيفة. و قد يبدو هذا وصفا حزينا، و لكن مع ذلك إن المساوئ العديدة التي يكون السياسيون عرضة لها ربما تنجم عن هذه الخصائص للعملية السياسية.

إن تكاليف الانتخابات قد أصبحت فعلا مشكلة مستعصية الحل، و تستحق عناية قصوى. تم إعمال الفكر في بعض أساليب العلاج لها، بداية من الانفاق الحكومي، و لكنه يبدو أنها ليست مؤثرة في الواقع. و نتيجة لذلك لا يوجد هناك حماس لخوض معركة الانتخابات بعد سنة أو سنتين. و إذا صار هذا ميزة دائمة تقريبا فلا يكون من العسير أن يتصور أي نوع من المرشحين سيقدرون على احتمال هذه الجرعة المفرطة للديمقراطية. فلا عجب إذن أنه لا توجد في هذا العمل الديمقراطي جاذبية كثيرة في عامة الأحوال للجيل المثقف الواعي الأحدث سناً.

**الحزب السياسي:**

و سط هذه التشوهات، نحن مضطرون إلى إعمال الفكر فيما حدث للحزب السياسي بصفته مبنى أساسيا للديمقراطية. كان جاى براكاش نارايـن و بعض الزعماء الآخرين عبروا عن فكرة ديمقراطية خالية من الأحزاب في بداية الخمسينات، و لكنه تم اختيارها في بعض الولايات فقط للانتخابات المحلية و السلطة القروية. إن الدستور لم يذكر "الحزب" حتى إلى الأيام الراهنة، و لكن بالرغم من ذلك إن النظام المتبع كان يمثل ديمقراطية حزبية. و قد بدأ يعمل بصورة جيدة أول الأمر، و لكن بصورة تدريجية أصبحت و عود سائر الأحزاب متماثلة تقريبا، و لم يوف بها بعد انتهاء الانتخابات. فكانت النتيجة أن القوة الممسكة للحزب، بصفته وجودا سياسيا يوحد المنتمين إلى معتقد خاص، تلاشت على نحو سريع. فلما أصاب الأيديولوجية السياسية سوء

الحظ، ظهرت لملأ الفراغ عوامل أخرى كانت معروفة منذ القرون، مثل المصلحة الشخصية، و الصلة الطبقية، و الهوية الدينية، و الحزب المحلي، أو نفوذ المال أو ظواهر أخرى كانت تتلقى الرواج في العهد الإقطاعي. و أصبح الحزب السياسي الحديث غير مأمون الأهداف، ثم انقسم من داخله إلى مجموعات يديرها أفراد ذوو نفوذ بصفتهم نقطة للالتقاء. و هكذا أصبح الحزب نفسه متسما بالصبغة الإقطاعية و الحزبية. يصف بعض الباحثين الغرب هذه الظاهرة كتسييس للهيكل الطبقي المتواجد. و يمكن أن يكون كذلك في بعض الأمكنة، و ذلك لسبب بسيط و هو أنه حتى قبل تواجد أحزاب سياسية منظمة كما نعلمها اليوم، كانت تتواجد هناك دائما نزاعات و منافسات جماعية، و هذه هي الطبيعة الإنسانية دائما. فإذا أخذت هذه شكل مجابهة قائمة على الاعتبارات الطبقية في كثير من الأحيان فلا غرابة في ذلك، إذ كانت الطبقة إحدى الخطوط الفاصلة القليلة المعروفة جدا في المجتمع. و سوف يوافق عديد من النشطاء السياسيين على أن المثل السياسية كالاستقلال، و إلغاء الإقطاعية و ما إليها- سيطرت على المسرح لمدة من الزمن، و جعلت الطبقة و سائر العوامل الأخرى أقل أهمية و شأنا إلى حد كبير، و فصلتها من العملية السياسية ـ و بكلمة أخرى جعلت العملية "خالية من الطبقة". و كذلك كان هتاف انديرا غاندي "إقض على الفقر" بمنأى من الطبقة، و كان يشمل سائر الفقراء. أياما كانت طبقتهم أو جاليتهم ـ و الطبقة الوسطى أيضا- و لكن كما حدث، إن الأمور قد تغيرت الآن، و أصبحت للطبقة، و الديانة، و السيادة الفردية اليد العليا. و هي تخوض نضالاً متبادلاً للبقاء، و تقوم إحداهما باحتواء الأخرى و محاربتها. و كلتاهما تسببان المشاكل للنظام السياسي. و إن منطقُ الفرد إذا صيغ في مثل ديمقراطي يقول: "إذا نفعني الحزب فانا مع الحزب، و إذا لم ينفعني فاذهب إلى حزب آخر، أو أشكل حزبا لنفسي ينفعني". و أصبح الانضمام إلى حزب أو الانشقاق منه سهلا جدا، و بخاصة للأشخاص الذين يتمتعون

بالنفوذ. و هذه الاستراتيجية عامة جدا، و يتم ممارستها على مستوى واسع. و مثل هذه التطورات غير المرضية يكفي لموت الحزب السياسي؟

و بنظرة قصيرة في الصحف و الجرائد يمكن المرء أن يرى أن الطبقة منذ زمن لا بأس به قد أصبح موضوع النقاش و العمل السياسي. و يمكن أن يجد المرء تماثلا واسعا بين الطبقة و الحالة الاقتصادية، مع أنه لا يمكن أن تعتبرا مترادفتين لأسباب عملية و نظرية. تم اعتبار معيار التخلف الاجتماعي و التعليمي أساسا للحجز في الوظائف الحكومية على بعض المستويات. غير أن هذه القضية أصبحت مثار نزاع سياسي، و مابرح تقرير لجنة مندال الخاصة بها منسيا إلى أن تم البت في القضية على إثر تدقيق قضائي و قرار المحكمة العليا المركزية. و أخذت الطبقة الآن تلعب دورا أكبر مما كانت تلعب في الأعوام الماضية قبل الاستقلال و بعده، و صارت مجموعة طبقية بنكاً للأصوات. و هذه العملية تزداد قوة على مرّ الأيام، و لايدري المرء أين تتوقف، و أي صورة اجتماعية تبرز في نهاية الشوط.

و عن طريق تشكيل مجموعات مماثلة يضمن الزعماء الطامحون لأنفسهم عددا كبيرا من الأصوات الأصيلة لكل حزب سياسي. و يتم هذا بصورة واضحة على أسس مختلفة يمكن أن تسمى الطبقة و الطبقة الفرعية و الجالية و الديانة و اللغة. إن التصويت في دولة ديمقراطية، كمبدأ، يتم على أساس ما تعد الأحزاب السياسية المشاركة بانجازه للناس خلال الأعوام القادمة، بالإضافة إلى التاثير في الناس بما قامت به في الماضي. و بهذا إنه عقد محدود معين الزمن، و قابل لأن يعاد فيه النظر بعد كل خمسة أعوام. و الحق أنه حينما يطالب الناخب بصورة مباشرة أو غير مباشرة بأن يدلي بصوته على أساس الديانة أو الطبقة التي ولد فيها، فلا يوجد هناك أي خيار،

و هذا لا يمكن أن يدعى انتخابا، اذ أنه يعني الاختيار. إن الديمقراطية العلمانية، في مجتمع تعددي مثل مجتمعنا، تضمن ممارسة هذا الخيار العلني الحر، و الحزب لا يعدو أكثر من وسيلة. من هنا إذا كان للحزب السياسي أن يكون بمأمن من خطر علی اهميته، فيجب ألا يعفو عنه أي شخص، مهما كانت أهميته، إذا قام بتقسيم أصوات الحزب بمثل هذه الأساليب. و لا تخر السماء إذا اتخذت القيادة العليا للحزب إجراء قاسيا ضد مثل هذه الأفراد. قد يفوز شخص شاذ هنا أو هناك في الانتخابات كمرشح مستقل، و لكنه يفقد أهميته كلها، إذا كان الحزب صارما. و إن الحزب في الواقع يحتاج لآن يشحذ حساسيته تجاه ما تمليه العدالة الاجتماعية دائما، و يعالج مطالب الناس بصورة مؤثرة، و ينظر فيها بنظرة منسجمة طويلة المدى، و إلّا فسوف يصبح الحزب كتلة للعصابات التي تضمر الولاء لمختلف الزعماء الداخليين الذين نزاعاتهم من جهة تخلق بيئة عامة للتنافر الطبقي، و تؤدي إلى انهيار الحزب السياسي في نهاية المطاف ـ و هو وضع يشبه المنظر المعروف من تاريخنا القروسطى.

فالحاجة تدعو إلى القيام بأعمال مختلفة حتى يصير الحزب السياسي ذا جدوى و ذا ارتباط بحياة الناس، خارج النشاط المحدود للانتخابات و الوصول إلى سدة الحكم. إن الديمقراطية، بحكم طبعها بالذات، تعمل تجاه إحداث تغييرات في الأحزاب الحاكمة. فيجب أن تكون نشاطات الأحزاب السياسية أوسع بكثير من العملية الانتخابية، و تتضمن مجموعة كاملة للبرامج المقصود تنفيذها بين الناس، و كان ذلك في الماضي يذكر بالبرنامج البناء لمهاتما غاندي في حزب المؤتمر الوطني. و ينبغي ألا تكون الأحزاب السياسية خارج الحكومة متشبثة بنزعة اسقاط الحكومة باية وسيلة. يمكن أن يشغل البرنامج البناء ـ أو شيء مثل ذلك يتم وضعه طبقا للأوضاع الراهنة ـ بال أعضاء الحزب الذي قد

يكون خارج الحكومة أو البرلمان لمدة من الزمن. و الأفضل منه أن يقرر بعضهم الابتعاد من النشاط التشريعي بصورة تطوعية لمدة معينة من الزمن، خمسة أو عشرة أعوام، و ينذر قواه الكاملة لبرنامج من هذه البرامج. و تؤكد مجموعة من الأمثلة هذه الضرورة، حيث تعجز جهود الحكومة، في ذات نفسها، حتى عن تحقيق أدنى التوقعات. فهناك أعمال يمكن إنجازها خارج الحكومة، و تؤدي هذه البرامج في النهاية إلى الزيادة من سمعة الحزب. و مع تواجد الرغبة السياسية يشعر جميع أعضاء الحزب بالارتياح في خدمة الناس. إن عملية نزع الاستقرار الحالية تحول دون اختبار أداء كل حزب سياسي بصورة مناسبة، و بالتالي لا توجد هناك أية مسئولية. و يشكل هذا لعبة يمكن أن يلعبها الجميع مهما سبب ذلك من ضرر للنظام. على كل، إن وزن تشاحنهم الداخلي نفسه و عدم كفاءاتهم قد قضى على روح تجمعاتهم و ائتلافاتهم في الحكم. و هذا مما يدل على أن كل "تجمع للمصالح" ليس ائتلافا مناسبا، فليس من اللازم أن يدوم. إن سقوط الحكومة في فترات قصيرة يضر بالديمقراطية، و ينم عن أعمال غير مسئولة أكثر. و حيث أن كثيرا من السياسيين يرون أنه لا يمكن أن يرجع حزب واحد إلى سدة الحكم في المستقبل القريب، فإنه من واجبنا أن نقوم نحن بوضع خطوط و مفهوم لائتلاف قابل للاستقرار في وضعنا الحالي، سواء رضينا أو لم نرض بالتقييم الذي سبق ذكره. كما يجب أن ينشأ هذا الائتلاف قبل الدخول في مجال الانتخابات، لا أن يرقع بعدها، فإننا لا نستطيع أن نقضي يوما واحدا بدون حكومة هادفة متطلعة إلى الأمام، أيا ما كان شكله.

و كم يتمنى المرء أن يحل سياسة الأداء محل سياسة الشخصية، حالما استطعنا التحكم في أمور البلاد. و حينما يصير الأداء أساس الاختيار أو الرفض إلى حد كبير بين الأحزاب (كما يجب أن يكون)، و أساس التفضيل بين

الأشخاص في حزب واحد كليهما، فيمكن الحد من عديد من الاتجاهات السلبية التي تتواجد اليوم. و يصيبنى القلق أنه لم يتم تجربة هذا الأسلوب الصريح لصورة مركزة كما يجب أن يكون. فلم يقم أي حزب - على سبيل المثال - بالتدقيق في أداء حتى أحد من كبار وزراءها، و لم ينح عليه باللائمة بسبب فشله (بالرغم من أنه تم إبعاد عديد منهم لأسباب "أخرى"). و في الأوضاع الراهنة إن البقاء في السلطة بأية طريقة هو الهدف السياسي الوحيد فكانت النتيجة أن كل فرد تقريبا مشغول دائما في حماية أتباعه، سواء كان في الحكم أو خارج الحكم. فلو اعتبر الأداء (و على الأقل إلى حد قابل للعمل في عملية تصطدم فيها دائما اعتبارات مختلفة بعضها مع بعض) كمقياس واحد لتقييم حياة رجل سياسي، فسيجلب ذلك البلاد نفعا عظيما. و إن هذه الزلة التي يرتكبها ناشطو الحزب تعود على الحزب نفسه بالضرر في نهاية المطاف.

قد كثر الحديث عن الإصلاحات الانتخابية منذ مدة من الزمن، كما اتخذت عدة خطوات بين فينة و فينة، و لكن الداء يبقى كما كان بل يبدو آخذاً في الازدياد. و اقترحت عدة إجراءات مثل الحكومة الوطنية، و الزمن المحدد، و مجلس التشريع غير القابل للحل، و النظام الرئاسي و عدة آراء أخرى، بغية معالجة علل خاصة في هذا النظام، غير أن تربية الناس في صالح البلاد و في صالحهم أيضا هو الواجب الأكثر أهمية الذي بدونه يمكن أن يلوث الأشخاص المجردون من المبادئ الخلقية. كل اقتراح نافع في نهاية الشوط. و إن الناخب في التقييم النهائي هو الترياق لجميع علل العملية الديمقراطية. لا يمكن أن يوضح أكثر من هذا في هذا المقال، و لكن الموضوع لا يطيق أي تاخير. و هناك اتجاهات عديدة تمس الحاجة إلى إدخال الإصلاحات فيها، و من الممكن أن يشار في كلمات قصيرة إلى بعض نقاط سر، ـة بالغة الاهمية لاستقطاب الانتباه اليوم.

منذ عام ١٩٧١م و بناء على اقتراح انديرا غاندى، تم الفصل بين انتخابات مجلس النواب و مجالس التشريع الإقليمية. و قد قام هذا الفصل على أساس أن قضية الحكومات المركزية و الإقليمية مختلفة تماما. و من مقتضى العدل أن يكون الناخب على إلمام به حين يدلي بصوته. غير أن الوضع اليوم في هذا الخصوص ليس باعثا على السرور. و باختصار، نحن نجد توترا مستمرا بين المرشحين لمجلس النواب و أعضاء المجلس التشريعي الاقليمي الحاليين، أو بين المرشحين للمجلس التشريعي الإقليمي و أعضاء مجلس النواب الحاليين. و يعمل الفريقان أحياناً كثيرة على نحو متعارض لدرجة السعي لإحباط فرص الفوز بعضهم بعضا في الانتخابات. و فوق ذلك، لست مقتنعا تماما بأن عامة الناخبين يدركون الفارق بين الانتخابين إدراكا كاملا. من هنا يشعر عديد من نشطاء الحزب أنه قد حان الوقت لأن نعمل الفكر في إجراء انتخابات متزامنة لمجلس النواب و مجالس التشريع الإقليمية كما كان قبل عام ١٩٧١م. و ليدع مرشحو الحزب أن يشاطروا حظوظا انتخابية عامة على الأقل، و هو العدل لاغير.

و يشعر المرء بارتباك بالغ حين يلاحظ أن وثوب بعض الأثرياء في ساحة الانتخابات لمجلس الشيوخ أو مجالس التشريع الاقليمية على أساس غناءهم فحسب قد أصبح مشهدا عاما. و يقتصر ذلك، إلى حد كبير، على تلك الدائرة الانتخابية للمجلس التشريعي الإقليمي التي يجري منها انتخاب عدد معين من الأعضاء. ففي هذا السباق يوجد نوعان من المرشحين ـ مرشحو الحزب و مرشحو المال. إن ورقة الاقتراع السري فيما يبدو هي أصل الداء. و من سوء الحظ أن هذا السباق في معظم الأحيان يتمخض عن خلط كامل، و يتسبب في انهزام بعض مرشحي الحزب بفعل الضغوط الأكبر لمرشحي المال. إن موضوع

هـذه الانتخابات غير المباشرة كله ـ إذا كنا نريد استبقاءها بأية حال ـ في حاجة إلـى أن يـعـاد فـيـه الـنظر، بهدف جعلها عادلة و شفافة. و يمكننا أن نلغي ورقة الاقتراع السري في هذه الانتخابات كخطوة أولى.

قـد ذكـرت فـيـمـا مـضـى مساوئ الانشقاقات الحزبية. إن قانون مكافحة الانـشـقـاق قـد حال دون حدوث الانشقاقات إلى حدما و بخاصة في الأحزاب ذات الأعـداد الـكـبـيرة. و لـكن في حال الأحزاب ذات الأعداد القليلة، حيث ليس من الـصعب جدا اقناع أحد أثلاث الحزب، حتى يصبح انشقاقا من الناحية التقنية، أسـئـي اسـتـخـدام هـذا القانون مع الإفلات من العقوبة. و تدعو الضرورة لجعله مؤثرا فيما يخص الأحزاب ذات الأعداد القليلة أيضاً.

و مـلـخـص الـقـول إن الـحـاجـة الـقـصـوى هـي أن تـسـتـعـاد الـقدسية الـديـمـقـراطية للحزب السياسي، و هذه التعليقات تنطبق على جميع الأحزاب، و إن الـحـاجـة الأولـيـة الـيوم هي أن يعود ولاء الناخب للحزب الذي كان قد جعل نـفـسـه مـسـتـعداً لأي واجب وطني إبان حركة الحرية. و بعدئذ إذا كان الناخب مـتـفـانيا في الحزب فإن أي زعيم خائن غير وفي للحزب سيجد من الصعب جدا أن يـقـنـع مثل هذا الناخب لأن يدلي بصوته ضد الحزب. و لا يمكن ذلك إلا إذا تم تـحـديـد رتـبـة كـل نـاشـط و ناشطة للحزب بصورة واضحة، بواسطة انتخابات أصـيـلـة، و ليس على أساس الامتياز أو الاختيار المشترك أو التعيين. و إنه يبدو من غير المنطقي بتاتا أن يتم تشكيلات مختارة غير ديمقراطية و تدعوا نفسها أحـزابا سياسية، و تدير ديمقراطية حزبية كأسلوب مفضل بصورة دائمة تقريبا. و لاشـك فـي أن إحداث التغيير فيه عمل شاق جدا بعدما بقي بدون معالجة لزمن طـويـل. و الـمـسـئـولـيـة لنا جميعا، و لا يستطيع أحد أن يدعي البراعة في هذا الـخـصـوص. و الـحـاجة ماسة إلى قرارات جريئة لاستعادة ديمقراطية داخلية

أصيلة في أحزابنا السياسية. و ليس عندي شك في أنه من أمر ممكن. و حينما يبدأ إصلاح معين بصورة جديدة، فإنه سيحصل على قوته الداخلية نفسها.

و قد بحثت عن بعض القضايا ذات الأرجحية القصوى فحسب في السطور الماضية، و الواجب أعظم و أعقد. و بالرغم من ذلك إذا أخذ المرء في ترقيع الثوب الممزق من جديد، فسوف يكون ذلك بداية جيدة.

**تعريب: ولي أختر الندوي**

❖❖

# السياسة الخارجية الهندية: تأملات الماضي و تحديات المستقبل

بقلم: جيه. أن. ديكسيت*

مع انقضاء خمسين سنة على الاستقلال باتت التجربة الهندية كدولة مستقلة تدرس بنواحيها المختلفة دراسة شاملة. و الاهتمامات في هذا الصدد تركزت خاصة على السياسة الخارجية و على الدور الذي لعبته الهند في المعادلات المتغايرة على صعيد العلاقات الدولية. و في أواخر العام الخمسين هذا اتخذنا قرارا خطيرا على علاقة بأمن الدولة و سياستها الخارجية، فاجرينا تجارب ذرية لنغدو بلدا متسلحا بالسلاح النووي. هذا القرار أحدث تغييرا كيفيا في المبادئ الأساسية التي عملت السياسة الخارجية في اطارها طيلة عقود متعاقبة. إذن فان محاولتنا هذه لتحليل و استعراض السياسة الوطنية الخارجية ينبغي أن تسير في سياق مغاير من الأسس.

هنا لاأريد اجراء عرض تاريخي و تفصيلي لسياسة البلاد الخارجية كيف تطورت منذ الاستقلال. بل القصد أن أتعرض لها ابتداء من منتصف الثمانينات حيث تولى راجيف غاندى قيادة الحكم، و أتناولها بالايجاز من النواحى المعاصرة على حسب الترتيب الزمني.

**الاتجاهات والتحديات التي واجهتها الهند منذ منتصف الثمانينات فصاعدا كانت كالتالي:-**

أ) عندئذ كانت الحرب الباردة في نمط التراجع. والاجماع الامريكي - السوفيتي حيال القضايا الدولية فرض على الهند و مجموعة من الدول الأخرى

---

* وكيل الخارجية الاسبق لحكومة الهند

أن تـعـدل مواقفها و تجعلها منسجمة مع متطلبات الظروف المستجدة ذلك بعد أن اسـتـمرت سياساتها الـخارجية تعتمد على الثقل الذي تمتعت به خلال سنوات الحرب الباردة.

ب) صـار من الـمـؤكـد أن انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان سيزيد من نـفـوذ الـولايات الـمـتـحـدة و بـاكستان، و يفتح لهما خيارات أكثر في منطقة الخليج و غرب آسيا.

جـ) ستظهر باكستان نفسها على خارطة جنوب آسيا ككيان يثق بقدراته و يميل لفرض إرادته على مسار الأمور في المنطقة.

د) تـغـيـر قـيـادات الـحكم في الاتحاد السوفيتي و الصين أسفر عن ذوبان في مواقف البلدين تجاه بعضهما للبعض.

ه) الصين اتخذت من الهند وقفة أكثر إيجابية حسبما لوح به دينغ سيا و بينغ لوزير الخارجية اتل بيهارى فاجباي لدى زيارته لذلك البلد في عام ١٩٧٩م.

و) من جـانـب كـانـت الـمـنـظـمـات و الـتـرتـيـبات المتعددة الجنسيات (مثل مـجـمـوعـة ٧٧ و آنـكـتـاد (UNCTAD) و حـركة عدم الانحياز) تفقد حيويتها و تـصـبـح عـديـمـة الأهـداف، و من جـانـب آخر كانت هناك قوى مركزية جديدة تـمـارس نـشـاطـات، و تـقوم بتكوين تكتلات إقليمية و شبه إقليمية للتعاون في مـجـالات الـتـكـنـولوجيا و الاقتصاد و التجارة متخذة من صياغة أطر مضمونة للسلام و الأمن في المناطق المعينة نصب أعينها.

ز) الامكانيات التي كانت بمثابة قاعدة لآليات الادارة الاجتماعية ـ الاقتصادية و الـتـنـمـية، و ظلت متصورة و سارية منذ زمن حكم نهرو، قد أصبحت في نمط الـتـلاشـي، و في الوقت نفسه لوحظ أن الانظمة المماثلة في الدول الاشتراكية،

خاصة في الاتحاد السوفيتي و الصين، هي الأخرى عانت من مواطن ضعف و نقص. اذن فقد تحتم على الهند أن تعدل حساباتها و تعطي مؤسساتها الادارية توجيها من شأنه التغلب على ظاهرة الركود على الاصعدة الاجتماعية ـ الاقتصادية الداخلية.

حـ) بغض النظر عن واقع الالتزامات التي قطعتها الهند ازاء مبادئ عدم التدخل و التعايش السلمي، فان دول الجوار الاقليمي تبنت رؤى مناقضة، و نوهت بأن للهند نوايا همجية و طموحات في الهيمنة.

ط) عند انتهاء العقد الرابع عقب الاستقلال كانت الهند قد وجدت نفسها في وجه ضغوط منشأها الأوضاع المتأزمة في البنجاب و الولايات الشمالية ـ الشرقية. الاستقرار و الأمن الداخلي عندئذ واجها تهديدات متصاعدة و متمثلة في فوران هويات اثنية و لغوية و إقليمية.

ى) باكتساب باكستان الكفاءة النووية قد تغير ميزان القوى على مستوى منطقة جنوب آسيا.

ك) علاوة على باكستان كانت هناك دول مجاورة أخرى ـ مثل النيبال و بنغلاديش و سريلانكا ـ تصنع علاقات سياسية و عسكرية مع الولايات المتحدة و الصين و اسرائيل في ظل نفس المخاوف من الهند و نواياها الهمجية المتصورة.

هنا اتخذ راجيف غاندي مبادرات سياسية، و فحص الاستجابات الممكنة لتلك التحديات و الميول. إنه انفتح على الولايات المتحدة و الدول الغربية الأخرى مع الحفاظ على العلاقات مع الاتحاد السوفيتى على المستويات

المطلوبة، و بادر لتنويع موارد التجهيزات العسكرية و التكنولوجيا. و في الفترة نفسها أرسلت تلويحات إلى الصين بمعنى أن لدى الهند رغبة في تطبيع العلاقات الثنائية و استئناف المباحثات حيال القضية الحدودية .. و أقيمت بين راجيف غاندي و الجنرال ضياءالحق و جايواردنه (رئيس باكستان و رئيس جمهورية سريلانكا ـ الدولتين اللتين كانت علاقات الهند معهما تمر بمرحلة عصيبة عند ذاك) صلات شخصية. و طرح راجيف غاندي مبادرة جديدة لنزع الأسلحة النووية و ضبط الأسلحة الاستراتيجية في اطار زمني محدد، تم نزعها بصورة كلية لغاية العقد الأول من القرن الواحد و العشرين. و على المستوى الوطني أنه اتخذ خطوات أولية لتحرير الاقتصاد، و عمل على اسراع تشكيل رابطة جنوب آسيا للتعاون الاقليمي (سارك) التي طرحت بنلاديش فكرتها عام ١٩٨٠م، و شارك في أولى قمتها في داكا عام ١٩٨٥م. و بعد استعادة الديمقراطية في باكستان سنة ١٩٨٨م فورا زار باكستان لاجراء لقاء مع رئيسة الوزراء بينظير بوتو، و في العام اللاحق (١٩٨٩م) قام بزيارة ثانية لذلك البلد. هذه التحركات أسفرت عن اتفاق البلدين على عدم ضرب المنشآت النووية في الهند و باكستان. و بهدف تهيئة الأجواء للثقة المتبادلة طرح راجيف غاندي عدة اقتراحات لتوسيع نطاق التعاون الاقتصادي و الثقافي و تكثيف الصلات بين شعبي البلدين، كما أكد للرئيس السريلانكي أن الالتزام الهندي تجاه وحدة و سلامة أراضي سريلانكا لا يقل عن الالتزام المقطوع لدعم طموحات التاميل. و آخر مساهماته الهامة في حماية أمن الهند كانت زيارته للصين في ديسمبر ١٩٨٨م، و مباحثاته مع دينغ سيا و بينغ بهذه المناسبة آتت فاتحة عمل تدريجي لتطبيع العلاقات بين الصين و الهند.

**الهموم الرئيسية المستمرة لسياستنا الخارجية كالتالي:**

أولاً) لاتـزال وحـدة الأراضـي الـهـنـديـة مهددة من قبل باكستان بسبب دعاويها بشأن جامو و كشمير، و من قبل الصين لاستمرار النزاع الحدودي معها بدون حل. و في حالة الصين فان التهديد لم يعد فعليا كما كان لغاية أو آخر الثمانينات.

ثـانـيـاً) تـسـتـمـر الـقـوى الـمتمخضة في التأثير على الوحدة الهندية الجيو - سـتـراتـيـجـيـة. ثـمـة شرائح اجتماعية في جامو و كشمير و الولايات الشمالية الـشـرقية تطالب بالانفصال عن اتحاد الهند، كما توجد في البنجاب و تاميل نادو و شـمـال ولايـة البنغال مجموعات باتت تعبر عن طموحاتها الانفصالية من حين لآخر منذ الخمسينات و أوائل الستينات.

ثـالـثـاً) الـعلاقات المتوترة مع الصين و باكستان و نشوب المواجهات المسلحة مـع الـبـلـدين أسـفـرت عن اضـطـرار الـهـنـد إلـى تـحـويـل مـواردهـا الـمـالية و الـمـادية (على قلتها) و البشرية المدربة لأغراض دفاعية، مما تسبب في تدني كـفـاءات الـبـلاد لـصـيـاغة و تنفيذ سياسات اجتماعية و اقتصادية لاعادة البناء و تعزيز القدرات الوطنية.

رابـعـاً) ظـلـت الـدول الأجـنـبـيـة و الـدوائر الفكرية الأجنبية تثير تساؤلات عن امكانية بقاء الهند ككيان سياسي موحد على تعدداتها الدينية و الاثنية و اللغوية. الأمـر الـذي فـرض عـلـى الـهـنـد أن ترد على مثل هذه الدعاية و تعالج العراقيل المترتبة عليها بطريق أو آخر.

خـامـساً) القواعد العسكرية الأجنبية والتواجد العسكري الأجنبي، شاملا وجود أنـظـمـة الأسـلـحـة الـنـوويـة الاسـتـراتـيـجية و التكتيكية في جوار الهند و في الامـتـدادات الـشمالية للمحيط الهندي و في الدول العربية الافريقية الساحلية، من الأمور التي تستمر مثار المخاوف الهندية.

سادساً) الكفاءات الصينية النووية و وجود الأسلحة الذرية في مناطق من قارة آسيا و المحيط الهندي، عوامل آخرى كانت لها تأثيرات على السياسة الخارجية الهندية منذ عام ١٩٦٤م فصاعدا.

لقد تمكنت الهند من التكييف مع البيئة الأمنية الداخلية و الدولية التي باتت في طور تغيير سريع ابتداء من ٨٤ ـ ١٩٨٥م. و بما أن هذه البيئات بعناصرها و مقوماتها ستستمر مؤثرة على مضمون السياسة الخارجية الهندية و توجهاتها المستقبلية، بناء عليه يبدو من المناسب أن نتعرض لهذه المقومات و العناصر بوجه تفصيلي:

أولاً : الحقائق الأرضية الموضوعية : لقد جاء انتهاء الحرب الباردة و تمزق الاتحاد السوفيتي عاملين يغيران ثوابت السياسة الخارجية الهندية من أسسها. و مصداقية عدم الانحياز، كما تجلت في حركة عدم الانحياز في مختلف مراحل التطور، هي الأخرى تطلبت اعادة النظر.

ثانياً: الثقل الذي تمتعت به الهند بفضل ارتباطاتها الأمنية مع الاتحاد السوفيتي، و الذي كان له دور في حماية الأمن الوطني و في صياغة الحسابات حيال البيئة الجيو ـ ستراتيجية في المنطقة، قد سقط عن الاعتبار.

ثالثاً: العولمة و ثورة الاعلام من الأمور التي فرضت على الهند أن تعطي توجيها جديدا لسياساتها الاقتصادية و الاجتماعية و التنموية.

رابعاً: صار من المحتم ـ في ظل الظروف المستجدة ـ أن تضع الهند حسابا لجدول أعمال دولي جديد، و تعطي اعتبارا لحقوق الانسان و البيئة رغم كون الأمور مثلها قد رسمت بدون مراعاة أوضاع الدول النامية و همومها المنوعة.

خامساً: وضعت الحرب الباردة أوزارها و لكن لم يحل محلها نظام عالمي متزن.. و إنما وضعت الدول المتقدمة في مكانها أنماطا جديدة من السباق

و النزعات البدائية لأجل الهيمنة على العالم من خلال توسيع الترتيبات الأمنية و الاقتصادية بقيادة الولايات المتحدة و عبر فرض الأنظمة التمييزية ـ عن طرف واحد ـ حيال نقل التكنولوجيا و التجارة الدولية و تدفق الاستثمارات و السيطرة على الموارد البيولوجية و المعدنية و الجينية في أنحاء العالم.

سادساً : بعد انتهاء الحرب الباردة تعين على الهند أن تحدد مكانتها و تجد لنفسها مكانا في المجموعات الاقليمية و في الحسابات الأمنية السياسية ـ الاستراتيجية.

سابعاً: صار من المفترض أن تتجه، الهند إلى صياغة معادلات جديدة بمراعاة أوضاع مراكز القوى الجديدة في العالم بما فيها ـ مثلاً ـ أمريكا الشمالية و أوروبا و اليابان و الصين و روسيا و آسيان.

ثامناً: كانت على الهند أن تقوم بصياغة العلاقات مع الدول حديثة العهد بالاستقلال مثل جنوب افريقيا و دول أسيا الوسطى و الجمهوريات الأوروبية و اليوروآسيوية التي كانت جزءا من الاتحاد السوفيتي.

تاسعاً: استدعت الضرورات أن تقوم الهند بتنويع التعاون الاقتصادي و العسكري مع مختلف دول العالم في اطر موازين القوى المستجدة.

و الأهم منه أن الهند وجدت نفسها في وجه ظروف الارتياب و عدم الاستقرار السياسي و الاقتصادي و التي سادت دول الجوار في منطقة جنوب آسيا.

التحديات آنفة الذكر استمرت على حالها في التسعينات و حتى عشية القرن الواحد و العشرين. و حزب بارتيا جنتا الذي يقود حكومة الائتلاف في نيو

دلهي في الوقت الحالي، رسم الخطوط العامة لرؤياته و توجهاته حيال السياسات الوطنية الخارجية و الأمنية على النحو التالي: ـ

بانتهاء الحرب الباردة طلعت على الأفق آمال في بداية عصر السلام و التضامن. إننا نتلمس عدة بوادر جديدة و مشجعة في مواقف الشعوب من ضرورة حل قضايا دولية مزمنة و ذات أهمية مشتركة كمثل البيئة و الصحة و التنمية الاقتصادية و حل الصراعات.

بيد أن الامكانيات على كثرتها و حجمها الضخم تلازمها عادات قديمة عدة. هناك قوى كبرى تبدو من جديد مائلة لفرض هيمنتها و شروطها بأهداف دعم مصالحها الاقتصادية و السياسية حتى و لو كان ذلك على حساب مصالح الآخرين. و ثمة أيضا صراعات حضارية و تصعيد في الصراعات الدائمة. الأمور التي تستدعي تكثيف الجهود في سبيل حماية المصالح الوطنية الهندية و العمل الدؤب على دعمها. و من هنا يتوجب على الدبلوماسية الهندية أن تكون تقدمية و ليست ارتجاعية، و أن تواصل مهامها من موقف القوة و لكن بدون تضحية قيم السلام و العدالة و التعاون.

في الفترة الأخيرة لوحظت ـ لدى الهند ـ ميول للخضوع في وجه الضغوط. مثل هذه الميول ناشئة عن عدم معرفتنا لمكانة البلاد و دورها المشروع في شئون العالم و عن اعواز التصميم و الثقة بالذات. الواقع أن بلدا بحجم الهند و امكانياتها ينبغي أن يكون له تأثير ملحوظ على مسار الأحداث العالمية. و الحكومة بقيادة حزب بارتيا جنتا ستطالب بان تكون لهذا الوطن مكانة رئيسية في جميع الهيئات العالمية.

حزب بارتيا جنتا يرفض فكرة العنصرية النووية، و يلتزم بمعارضة المحاولات التي يقصد من وراءها فرض الهمجية النووية عن طريق اتفاقية

حظر التجارب النووية (CTBT) و القوانين الخاصة بالتكنولوجيا الصاروخية (MTCR). الهند بقيادة هذا الحزب ترفض أن تخضع لارادة أي طرف فيما يتعلق الأمر بالمتطلبات الأمنية و ممارسة الخيار النووي. إنها عاقدة العزم على بذل الجهود في سبيل تنفيذ الأهداف الوطنية.

تواجه الوحدة و السلامة الوطنية تحديات خطيرة و عديمة النظير في تاريخ البلاد. خلال بضعة عقود أخيرة شهدت البيئة الأمنية على الصعيدين الداخلي و الخارجي تدهورا سريعا. و الحكومات السابقة في تصميمها و مسعاها لمواجهة هذه التحديات قد أهملت عدة جوانب، و كانت مسئولة عن تفاقمها. منذ عام ١٩٩١م فصاعدا باتت ميزانية الدفاع الوطنية في طور الانخفاض بالمعنى الحقيقي، و نسبة المصاريف في مجال الدفاع من اجمالي الناتج المحلي قد هبطت من ٣،٠٤٪ في عام ٨٩ - ١٩٩٠ إلى ٢،٠٣٪ في العام المذكور أولا. الحكومات المتعاقبة، المصابة بالوهن و ضعف الإرادة قد عرضت السلامة الوطنية للأخطار. يرى البعض خطأ أن هناك تباينا بين متطلبات الأمن و التنمية الاقتصادية، لكن الواقع هو إنهما متلازمان بعضهما للبعض. من المستحيل أن تتحقق التنمية الاقتصادية بدون الاستعدادات المناسبة في المجال الأمني، و العكس أيضا صحيح بالقدر نفسه.

المطلوب في الظروف الراهنة أن تعرض تهديدات الحاضر و المستقبل لعمل تحليل و تقييم متواصل ذلك أن غياب الاهتمام الحكومي لهذا الجانب و انعدام التنسيق بين مختلف الوزارات من العوامل التي جعلت من آلية هذا العمل التحليلي في حالة عطل. القوات المسلحة أصبحت بدون دور في صياغة سياسة الدفاع الوطنية. التدخلات البيروقراطية الغير رشيدة أدت لانهيار معنويات القوات المسلحة خاصة على مستوى القيادة، و خلفت تأثيرات سلبية

علـى وضعية الاستعداد العسكري. و بعكس موقف الحكومات السابقة فان قيادة الـحـكـم الـتـي يـتـولـى زمامها حزب بارتيا جنتا حاليا، ملتزمة باتخاذ اجراءات لـتـقـلـيـب هذه الميول السلبية و إيجاد تنسيق بين القوات المسلحة و الحكومة على كافة المستويات.

حـزب بارتيا جنتا قلق من وضعية سير العمل في مجال الابحاث و التنمية الـعـسـكـريـة بـالـرغـم من أن الـدائـرة المعنية بها غنية بالكفاءات. النقص في تـخصيصات الميزانية العامة لهذا الغرض هو السبب الرئيسي العامل وراء ذلك. الـتـاخـر في انتاج طائرة حرب خفيفة (LCA) و الغواصات النووية و الصواريخ الـمـوجـهـة ظـاهـرة تـبعث على القلق. العلماء و الفنيون في هذا البلد يتمتعون بـكـفـاءات عالية جدا، و المشكلة الحقيقية تكمن في اعواز التصميم السياسي و وضـوح الـرؤيـة حـيـال الـقـضـايـا الاسـتـراتيجية. و المطلوب هو مراقبة أداء الـوحـدات الـمـنـتـجـة لـلـسـلـع العسكرية عن كثب و تطوير مستوياته التجارية و الدولية.

من هـنـا نـتـجـه إلى مبررات التسلح النووي الهندي و تحليل كوامنه. يقول فرانسيس بيكون في مقاله المكتوب في عام ١٦٢٥م بعنوان "عن الحكم": الخوف من خـطـر و شـيـك الـوقـوع يـكون قضية مشروعة و لو لم يكن له صدى مسموع لـحـينه. هذه الكلمات تكفي ردا على المعارضين للتجارب النووية الخمسة التي أجـرتـهـا الـهند في ١١ و ١٣ مايو و التي أعلنت في اعقابها أن الهند دولة متسلحة بـالسلاح الذري. من مفارقات التطورات الاستراتيجية و الجيو ـ سياسية أن الهند الـتـي دعت لنزع الأسلحة بصورة كلية و بدون أي تمييز، بدورها تحولت إلى دولة تـتـجـاهـر بـامـتـلاك الأسـلـحـة النووية، و تخلق بالتالي ساحة جديدة لقضية نزع الـسـلاح. المبررات العقلية التي دفعت الهند على طريق التسلح النروي، تستحق أن نتعرض لها في الخلفية التاريخية.

في اعقاب القصف النووي لهيروشيما و ناجاساكي كان جواهر لال نهرو في طليعة زعماء العالم الذين طالبوا بنزع الأسلحة النووية و أنظمة الأسلحة المتصلة بها، ثم ظلت الهند تنادي بضرورة نزع الأسلحة النووية بصورة شاملة و كلية. منذ عام ١٩٤٧م و لغاية عام ١٩٩٦م استمرت الحكومة الهندية تساهم في صياغة اتفاقية حظر التجارب بنشاط، و باتت تطالب بتصفية جميع الانواع من أسلحة الدمار الشامل على ساحات الأمم المتحدة و مؤتمر جنيف لنزع الأسلحة و في مؤتمرات أخرى منبثقة عنه. إلاّ أن الدول النووية مضت خلال العقود الخمسة المتعاقبة في تحديث ترساناتها الذرية و في تركيز الاهتمامات على ضبط انتشار الأسلحة الذرية بدلا من نزعها، و عملت على تعقيد الأمور كلها عبر مسلسل من القوانين الدولية التي بررت تمييزا صارخا بين الدول النووية و الدول الغير نووية و تضمنت بنودا هادفة إلى اعاقة جهود المجموعة مؤخرة الذكر لتطوير امكانياتها التقنية و استخدامها لتوليد الطاقة النووية و لأغراض الابحاث الفضائية. الظاهرة التي انعكست بقوة في اتخاذ اتفاقية منع الانتشار في عام ١٩٦٦م و تمديدها لأجل غير مسمى في عام ١٩٩٥م و في اعداد المسودة النهائية لاتفاقية الحظر الشامل على التجارب النووية.

في عام ١٩٦٣م رفضت الهند الاقتراح الأميريكي بصنع قبلة نووية للرد على ما تكهنت به الدوائر عندئذ من تسلح الصين بالأسلحة الذرية في عام ١٩٦٤م. الهند اتخذت هذا الموقف عن وعي و إرادة و مع امتلاكها الكفاءة المعترف بها لاستخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية و مع كونها قادرة على انتاج الأسلحة النووية.

انشغال باكستان في البرنامج السري لصنع القنبلة النووية عام ١٩٧٢م هو التطور الذي اضطر الهند لاتخاذ اجراء مضاد له و للقيام بالتفجير النووي في

بوكران يوم ١٨ مايو ١٩٧٤م. المبرر العقلي الذي استندت إليه الحكومة الباكستانية لتبرير حاجتها من التسلح النووي هو أن الهزيمة التي منيت بها باكستان في حرب ١٩٧١م استوجبت أن تكون في حوزتها كفاءة عسكرية أشمل و أقدر و حامية من خطر الهزيمة نظرا لاستحالة خروجها ظافرة في أية حرب تقليدية مع الهند. إلّا أنه بالرغم من اجراء تجربة نووية عام ١٩٧٤م فان الهند استمرت طيلة ٢٤ سنة تتحرك بتحوط و حذر، و تمارس ضبط النفس لغاية عام ١٩٩٨م. معلوم عن الهند انها لم توقع اتفاقية منع الانتشار إلّا أنها لم تقم باجراء تجربة ثانية لمدة عقدين و نصف تقريباً، كما امتنعت عن تصدير الخبرة الفنية للأسلحة و المعدات النووية لاية دولة في العالم، و وضعت المفاعلات النووية التي انشئت بالتعاون مع دول أجنبية تحت مراقبة الوكالة الدولية للطاقة النووية. و جملة ما في الأمر أن نيو دلهي عارضت تطبيق قوانين منع الانتشار بصورة شاملة على الدول الغير ذرية دون الدول الأعضاء في النادي الذري. و للعلم أيضا بأن النشاطات الفنية النووية في هذا البلد أدارتها المنظمات المدنية، و الأعمال في المجال الذري كلها تستمر خاضعة للمراقبة البرلمانية. بيد أن هذا الموقف المسئول و المتصف بأقصى الانضباط قد قوبل من قبل القوى النووية و الهيئات المتعددة الجنسيات بصنوف من القيود و الضغوط التمييزية بأهداف الحيلولة دون نجاح الهند في احقاق امكانياتها التكنولوجية و تغطية متطلباتها الأمنية و الاستراتيجية بالاعتماد على الوسائل الذاتية. و في ظل هذه الظروف صار الرأي العام الهندي يجمع على ضرورة تخطى مثل تلك الضغوط.

لقد سبقت اعطاء اتفاقية حظر التجارب النووية بصمة نهائية، مناقشات أخذها الهنود مأخذ برهان صارم على نوايا القوى الذرية في دفع الهند و أمثالها من الدول النامية التي حققت تقدما في مجال التكنولوجيا إلى المكانة الثانوية

في الحسابات الدولية. الرؤية الهندية هذه من نوايا القوى المحتكرة للسلاح الذري كانت رؤية حادة و قطعية ذلك لأن الولايات المتحدة و الدول المتقدمة الأخرى قد أكدت للهند ـ قبل المناقشات ـ أن اتفاقية الحظر الشامل على التجارب النووية سوف لا تبرر تمييزا بين الدول الممتلكة للأسلحة النووية و الدول الغير نووية. كانت الهند قد شاركت مع أمريكا في طرح الاقتراح بضرورة اعداد مسودة هذه الاتفاقية، إلّا أن التطورات التي استجدت في المراحل اللاحقة دلت على أن الالتزامات المقطوعة بذلك الخصوص قد طرحت عن الحسابات بصورة كلية. و للوضع كان بعد اخر منعكس في الغموض الذي مارسته الهند عن عمد حيال كفاءتها في التسلح النووي و الذي استخدمته القوى النووية سندا و حجة لوضع حد لتلك الكفاءات الهندية في أول الأمر، ثم ارجاعها و نزعها جملة في نهاية المطاف. الوقفات آنفة الذكر تشكل الخلفية العامة للظروف و العوامل التي لأجلها اضطرت الهند لاجراء التفجيرات النووية في ١١ و ١٣ مايو. لكن هناك أسبابا أخرى أكثر ارتباطا بالموضوع. في هذه الفترة لم تكن باكستان قد اكتسبت فقط كفاءة للتسلح النووي و صلاحية لضرب الأهداف بالرؤس النووية، و انما كان رئيس الوزراء نواز شريف و عدد من كبار مسئولي الحكومة الباكستانية قد هددوا باستخدام تلك الأسلحة ضد الهند خلال ٩٥ ـ ١٩٩٦م أيضا. كانت باكستان قد انشأت مصنعا للصواريخ في منطقة فتح كنج، على مسافة ٥٠ كيلومترا من العاصمة اسلام آباد، كما حصلت على صواريخ أم ـ ١١ من الصين و صواريخ ندونج ٢ من كوريا الشمالية. هذه الصواريخ تصلح لحمل القنابل الذرية إلى الأهداف في الهند. و في شهر ابريل ١٩٩٨م أجرت باكستان تجربة لصاروخ باليستي ـ غوري ـ متوسط المدى، و أعلنت أنها ستقوم بتطوير صاروخين آخرين ـ بتسمية "غزنوي" و "بابري" ـ بمدى أطول، من صاروخ غوري، و بذا ستكتسب القدرة على ضرب الأهداف في أرجاء الهند.

و في المنطقة أيضا تواجد عسكري نووي أمريكي و صيني بجميع الأشكال البرية و الجوية و البحرية هذا التواجد يمتد من جزر ديغوغارسيا في امتدادات المحيط الهندي شمالا، إلى مضيق هرمز و الخليج، و من الخليج يصل في قوس شبه دائري إلى بحر الصين الجنوبي.

علاوة على ما ذكر فان الصين تتابع برنامجا متعدد الجوانب للتحديث العسكري و تنمية القوة أضعافا مضاعفة، و لذلك الغرض انها قامت باستيراد التكنولوجيا و القياد العسكري بقيمة ٢٠ مليار دولار أمريكي في غضون خمس سنوات تقريباً. و الكفاءات الصينية المتنامية في مجالي التسلح النووي و الصاروخي تعطى ثقلا في التقييم الهندي للبيئة الاستراتيجية و الأمنية على الصعيد الاقليمي. و مهما تكن الحجج التي تثار لعقلنة و تبرير التعاون الفني الصيني - الباكستاني في مجال الدفاع، فان هذا التعاون يخلف تاثيراته على الرؤى الهندية ازاء الخطر المحتمل. فالمسالة اذن ليست أن الصين تحمل نوايا عدوانية ضد الهند على مستوى الأمد البعيد أو الأمد القصير، بل المهم في الأمر أن وضعية التسلح في جوار الهند الجغرافي في نمطها الحالي تستدعي صياغة استجابة لائقة.

و في نفس الوقت استشعرت الهند أيضا بأنها اذا لم تقم باجراء تجارب و ارساء الأسس السياسية و التكنولوجية للدفاع النووي و الصاروخي في هذه المرحلة بالذات، فانها سوف لا تتمكن لا من التخلص من القيود التي تتخذ اتفاقية حظر التجارب النووية واجهة لها و التي تغدو سارية المفعول في مدة سنة، و لا من وطأة الاجراءات التي ستنفذ في اعقاب اتخاذ قوانين خاصة بضبط نقل التكنولوجيا الصاروخية.

خلاصة القول إن وجود قنبلة ذرية في حوزة الهند لأمر مبرر أولا بالنظر إلى متطلبات الأمن الوطني في ظل الظروف الاقليمية السائدة، و ثانيا لأن هذه الخطوة ستصبح أساسا ثابتا و دائما للاكتفاء الذاتي في مجال التكنولوجيا العسكرية، و ثالثا لأن القنبلة النووية هذه ستكون عونا على صياغة توازن استراتيجي في المنطقة، و أخيرا لئلا ترضخ البلاد لأنظمة قيود و عقوبات دولية عبر ادخالها في فئة الدول التي لا تمتلك الأسلحة النووية. فالمهم الآن أنه بغض النظر عن الأطروحات القانونية لا يمكن لأحد أن يثير شكوكا أو أسئلة عن المكانة النووية التي اكتسبتها الهند فعلا. و الهدف الذي تتطلع الهند لتحقيقه من وراء هذه التحركات هو تغيير النقاط التمييزية التي تتحكم الآن في المفاوضات حيال منع الانتشار و ضبط الأسلحة و نزع الأسلحة، و التي تنوي الدول المتسلحة بالسلاح النووي اعطاءها صفة الدوام. و هذا هو السبب بعينه الذي لأجله لم يتيسر استدراج الهند لتوقيع اتفاقية الحظر الشامل على التجارب النووية فضلا عن اتفاقية منع الانتشار و الأهم منه كله هو أن التسلح النووي الهندي ثمرة لعوامل استراتيجية و سياسية، أكثر من كونه موجها للاستعمال العسكري. و الهند لن تلجأ للخيار الثاني إلاّ في ظروف اضطرارية و عسيرة لأقصاه.

الهند لاحظت أن ضبط النفس مضى بدون أن يخلق استجابة معقولة لدى المجتمع الدولي على وجه العموم و القوى النووية على وجه الخصوص، فاضطرت بالتالي أن تتقبل حكمة ما قاله جورج هربرت في Jacula Prudentum، في عام ١٩٥١م، من "أن سيفا لديك يضمن بقاء اثنين في الغلاف":

جملة ما في الأمر أن الهند اتبعت خلال هذه الأعوام الخمسين من حياتها كدولة مستقلة سياسة خارجية لها انجازات و جوانب فشل يمكن ايرادها ملخصة على النحو الآتي: -

أثناء الخمس عشرة سنة الأولى من استقلال البلاد ظلت سياستها الخارجية مشرئبة بالمثالية، و رؤيتها من نظام عالمي اتسمت بايجابية غير واقعية، مما أسفر عن فشل سياستنا الخارجية في مسايرة المصالح الوطنية في شئون معينة. في وجه الغزو الباكستاني لكشمير بادرت الهند للطلب إلى الأمم المتحدة بالتدخل و ايقاف الاعتداء. لدى وقوع التبيت تحت الاستيلاء الصيني وقفت الهند موقف اذعان. و عندما صارت قضية الحدود مع الصين في نمط التطور من عام ١٩٥٦م فصاعداً، اتخذنا منها في أول الأمر موقف التدرج، و استبدلناه بموقف الصرامة بصورة مفاجئة مما أدى إلى نشوب حرب عام ١٩٦٢م و هزيمة الهند فيها. هذه الوقفات تبرهن على وجود جوانب الفشل في السياسة الدولية على الصعيد الخارجي.

ذلك من ناحية، و من ناحية أخرى فانه بفضل البانديت نهرو و سياسته الأخلاقية و مكانته الدولية استطاعت الهند أن تكتسب في شئون العالم نفوذا كبيرا لم يكن يعادل قوتها الاقتصادية و السياسية و العسكرية. كان من الممكن أن تحتفظ الهند بمكانة القيادة الدولية هذه طيلة سني حياة الزعيم نهرو، لكنه بعد غيابه عن الساحة كان من الواجب أن نجد سبلا للتكييف مع الحقائق السياسية، و نلعب في شئون العالم دورا أكثر واقعية. إلّا أن ما حدث فعلا أن قيادة الحكم بعد وفاة نهرو توارثت منه عقلية ابتغت نفس الدور القيادي على المستوى الدولي بدون مراعاة ما إذا كان بقية العالم تتقبلها في ذلك الدور أم لا، و ما اذا كانت الهند تمتلك قوة و وسائل لازمة لاضطلاع ذلك الدور أم لا. ثم و إن

الرغبات نفسها في القيام بمثل ذلك الدور صارت تحد من حرية التصرف و التحرك من موقف الحسم لتأمين حماية المصالح الوطنية. و لأجل الادعاء بأن مواقفنا من القضايا الدولية مستمدة من المبادئ الأخلاقية أكثر منها من متطلبات الواقعية السياسية، فإننا وجدنا أنفسنا في مآزق متضاربة عندما اتخذنا العملية البوليسية في حيدرآباد و العملية العسكرية ضد البرتغاليين في جوا(Goa) . و نفس التباينات وجدت انعكاسا في ردّ الفعل الهندي ازاء الغزو السوفيتي لهنغاريا و تشكوسلوفاكيا أو الغزو البريطاني ـ الفرنسي لمصر أو الغزو العربي لإسرائيل في أواخر الستينات و في السبعينات. ثم جاءت التناقضات مثلها تتحكم في مواقفنا حتى في التسعينات من العمليات العسكرية الأمريكية في ليبيا و جرينادا و الباناما و من الغزو العراقي للكويت.

صحيح أن هناك مبررات مقبولة لجميع ما فعلته الهند من منطلق المصالح الوطنية، إلاّ أنها اضطرت للوقوف في موقف الدفاع بسبب ترددها في التخلي عن المواقف الأخلاقية التي اصطنعتها بأياديها. و لبناء فكرة عن ردود فعل أجنبية ازاء مثل هذه المآزق أذكر ـ على سبيل المثال ـ ما دار في حديثي مع مسئول أسبق في وزارة الخارجية الأمريكية عندما استرعيت انتباهه إلى أن الانتقادات الأمريكية لسجل الهند حيال حقوق الانسان تبدو في غير مكانها. ردّا على التساؤلات القوية التي قمت بطرحها في ذلك الخصوص قال المسئول الأمريكي:ـ

"الهند تواجه هذه المشكلة لانها بنفسها وضعت معايير أخلاقية عالية لسلوكها الاجتماعي ـ السياسي حول قضايا ذات اهتمامات دولية كمثل حقوق الانسان. إننا نتابع مواقفكم بمعاييركم نفسها، و لا نكون حادين بذلك القدر لدى التعرض ـ مثلا ـ للصين أو مصر أو اندونيسيا- الدول التي لا تتحدث إلينا من ذلك المنطلق الأخلاقي البحت".

هناك جانب ضعف آخر (لايجوز تسميته بالفشل) يلاصق العقلية الصانعة لسياسة الهند الخارجية. هذا الجانب يأتي متمثلا برغبتنا في الحصول على شهادات حسن السلوك من قبل دول أخرى، و في تطلعاتنا لكسب اعترافاتها بكوننا بلدا عظما و مستحقا ليكون قائد الدول النامية، و يحصل ـ لأجل تلك الفضائل ـ على مقعد دائم في مجلس الأمن بصورة تلقائية. إننا نحب أن تنظر دول أخرى إلى الهند نظرة اجلال و احترام، و تنزلها منزلة قوة اقليمية بارزة، و حتى منزلة قوة دولية اذا أمكن. هذه النرجسية تجعل سياستنا الخارجية رهينة لطموحات غير واقعية و تبريرات مفترضة و احباطات حادة ـ العاهات التي يتوجب أن نتخلص منها بسرعة.

**و عن النواحي التي يمكن أن تعد انجازات لسياستنا الخارجية فهي كالتالي:ـ**

١ ـ بالرغم من كثرة التعددات و وجود القوى الطاردة تمكنت الهند من الحفاظ على وحدتها.

٢ ـ استطاعت الهند أن تحتفظ بسلامة أراضيها على الرغم من التهديدات و الضغوط الأجنبية التي وجدت انعكاسات في العمليات التخريبية و الأخطار العسكرية تارة، و في التحديات السياسية تارة أخرى.

٣ ـ معلوم عن دول الجوار أنها تتبنى ازاء هذا البلد رؤى سلبية (مهلهلة و غير مبررة) و مع ذلك كله فان الهند حافظت على نوع من علاقة عمل معها، و في السنوات الأخيرة استطاعت أن تضفي طابع الاستقرار على علاقاتها حتى مع باكستان و بنغلاديش ـ الدولتين اللتين تستمر بينهما و بين الهند قضايا تتطلب التسوية.

٤ ـ لقد استطعنا أن نتابع سياستنا الخارجية و نحافظ على الخيارات في المجالين النووي و التكنولوجي بالرغم من الضغوط السلبية المستمرة

و الموجهة إلى دفع الهند نحو قبول الترتيبات التي تعيق مصالحها الوطنية.

٥ ـ تمكنت الهند من صياغة علاقة عمل مع مراكز القوى الرئيسية في أنحاء العالم على أسس دائمة.

٦ ـ الهند عضو مؤثر و موثوق به في جميع الهيئات المتعددة الجنسيات التي تتعامل مع قضايا دولية، ذلك مع أن سياسة موازين القوى تحول دون كسب الهند دورا و مكانة مستحقة على ساحة العالم.

٧ ـ استطعنا أن ندبر سياستنا الخارجية على صعيدى الدفاع و الاقتصاد ببعد النظر و ابداء المرونة، و بهذا تيسر لنا ايفاء المصالح الوطنية و تأمين سلامة البلاد و رفاهية الشعب وسط ظروف عالمية معقدة.

٨ ـ حققت الهند هذه الانجازات كبلد ديمقراطي واقعه المعاش عبارة عن كثرة كاثرة من الضغوط و الشدات المتضاربة و الناجمة عن طبيعة المجتمع متعدد الديانات و الثقافات و اللغات. و المهم ان هذه الانجازات الهندية في السياسة الخارجية هي ذات الانجازات التي تستمر الدول الأوروبية كلها ساعية لكسبها بعد انقضاء ٣٠٠ سنة على تجاربها ككيانات وطنية و بالرغم من قلة عدد السكان و من امتلاكها موارد أكبر بكثير من موارد الهند.

مرور نصف قرن على وجودنا كبلد ديمقراطي يشكل منعطفا تاريخيا هاما حيث يفترض أن تكون لدينا قدرات للتأمل في هذه الأمور و التفكير فيها من موقف النقد الذاتي. التباشير كلها توحي بأنه يمكن لنا أن نتبنى أمالا في مستقبل مشرق شريطة أن يبقى البلد بلدا موحدا ولا يخضع لقوى التجزئة و التمزيق.

تعريب: فريد الزمان

❖❖

# رؤية لهند متقدمة

بقلم: ايه. بي. جيه. عبد الكلام*

بـرزت الـهند المستقلة إلي حيز الوجود في ١٩٤٧م و يلتصق بها طابع "دولة نـامـيـة". و كـان معنى ذلك أنها ليست دولة قوية اقتصاديا و عليها الاعتماد على دول أخـرى من أجـل الـتكنولوجية. و لم تكن للهند مكانة تذكر على ساحة العالم رغـم حـجـمـها و إمكاناتها. فلذا كان السؤال أمامنا، كما هو الآن، ما هو السبيل إلـى إزالـة هـذا الـطـابـع الـمـسـمـى الـدولـة الـنامية و كيف نصبح نحن "هندا متقدمة".

و قـبل تناول القضايا الاقتصادية أريد مناقشة المسائل الدفاعية و الأمنية لأنها نقطة هامة لاستقلالنا السياسي الذي حققه لنا آباؤنا بعد عقود من النضال. و كـان الاسـتـقـلال أولـى رؤيـة حـقـقتها الدولة و الناس معا. و على ذاك الأساس الـوطـيد نحن نحتاج إلى بناء رؤيتنا الثانية و هي أن نكون "هندا متقدمة" ملؤها الأمن الوطني و الضمان الاقتصادي و الغذائي و الاجتماعي. و إن تاريخ الإنسانية يكشف لنا سير الحروب مع آمال الإنسان.

و لكى ندرك مغزى مختلف أنواع الحرب التي قد تؤثر علينا ينبغي علينا أن نـلقي نظراً سريعاً على تطور أسلحة الحرب و أنواعها. و قد قمت مؤخرا بدراسة مـختلف مراحل الحياة العالمية و تأثير الحرب عليها عبر العصور. و كانت حرب الإنـسان في معظم الأحيان حتى عام ١٩٢٠م حربا مباشرة. و أنها في الأصل كانت

---

* مستشار رئيس الوزراء في الشئون العلمية

وسيلة لإقامة أو تمديد ممكلة بضم مناطق متعددة زاخرة بالثروة أو لمجرد نشر العقائد. و الوسائل المستخدمة فيها كانت أسلحة (مثل السيف) بدائية و حيوانات. أما الامم التي هيمنت في هذا العصر فهي الرومان و الصليبيون و العرب. و في المرحلة الثانية أي في فترة مابين ١٩٣٠ و ١٩٩٠م كانت أسلحة الحرب أسلحة مسيرة أي أسلحة متطورة و منها المدافع و الدبابات و الطائرات و السفن و الغواصات بما فيها نشر الأسلحة النووية و الصواريخ و سفن الفضاء الاستطلاعية في المدار. و هذه الأسلحة و كذا الأجهزة المتعلقة بها كانت كثيرا ما تستخدمها كتلتان من الدول و هما الولايات المتحدة الأميركية و الاتحاد السوفيتي السابق. و كان كلاهما ينشران بعض العقائد و يجذب كل منهما إلى فئته عدة دول و ذلك بمنح منافع تجارية و عسكرية لها. و وصل نشر الأسلحة التقليدية و النووية و الحيوية إلى قمته ننتيجة المسابقة بين هاتين الكتلتين من القوى العظمى.

و منذ عام ١٩٩٠م بدأت المرحلة الثالثة. فالعالم الآن قد تدرج و ترقى إلى حرب الاقتصاد. أما أسلحتها فهي السيطرة على السوق من خلال التكنولوجيا الدقيقة. و تشترك في هذه الحرب اليابان و ألمانيا و بعض الدول في جنوب آسيا و قليل من الدول الأخرى. و القوة الدافعة لهذه الدول هي خلق موارد الثروة مع نوع من قواعد اقتصادية.

و في أيام الحرب الباردة أخذ يظهر هناك نظام عالمي ثنائي القطب، مثلت فيها الأمم المتحدة منتدى هاما للاحتفاظ على شيء من التوازن بين دول العالم. و كانت القوانين التمييزية و التقييدية التي طبقتها الكتلة الغربية من الدول المتقدمة تبدو مبررة على أساس منع تحويل التكنولوجيا للعدو. إلاّ أن هذا

و فـي هـذا الـصـدد قد ناقشنا (أنا و السيد راجن) مرارا شيئا أدركته خلال مهمتي في معمل الابحاث و التنمية الدفاعية ـ حيدر آباد.

لاقيت هناك ثلاثة أشخاص أصبحوا في ذهني أمثلة لإيضاح بعض الأمور. كـان هـنـاك رجـل إسـمـه "فـيـنـكـات" و لـه ابـنان و بنت و كلهم حاملو شهادات الـبـكـالـوريـوس و أيضا موظفون. و في نفس الحي كان يسكن "كوبو" و له ثلاثة أبـنـاء فـهو لم ينجح إلا في تعليم و تربية واحد منهم فقط و هو كان أيضا يسكن فـي بـيـت مـسـتأجر. وكان هناك رجل آخر يسمى "كاروبان" و كان له بنتان و ابن واحـد و هـو شـبه موظف و فقره لم يسمح له بأن يعلّم أيا من أولاده. و لم يكن له أيـضـا سـكن دائم. ألا يمكن له أن يؤمن لأبنائه حياة عادية لا حياة غير حقيقية و لا استثنائية؟ ألا يمكن لهم أن يعيشوا مدة معقولة من العمر و يعملوا بوظيفة تـكـفلهم بقدر من الراحة الأساسية و بعناية من الصحة الحسنة؟ هذه هي الهند المتقدمة التي نحلم بها.

عـنـد الـسـعـي لـلو   ول إلى هذا المرام علينا أن نتذكر ما قاله الاقتصادي الشهير و صاحب جائزة نوبل الدكتور امارتيا سين:

"إن جـوهـر الأمر هو توسيع الفرص الاجتماعية المتاحة للناس. و بما أن هـذه الـفـرص لا تـسـتـغـل تـمـامـاً بسبب قوانين مضادة و تحكمات بـيـروقـراطـيـة يـجـب اعتبار إزالة هذه العوائق من أهم الامور. غير أن استحداث الفرص الاجتماعية على أوسع نطاق يحتاج إلى شيء أكثرمن تـحـريـر الأسـواق. و يتطلب بوجه خاص توفير فرص التعليم و الرعاية الصحية للجميع (بصرف النظر عن مستوى الدخل و الوسائل) و الاحكام الـعـامـة لـلدعم الغذائي و الضمان الاجتماعي. يحتاج أيضاً إلى برنامج سـيـاسـي و اقتصادي و اجتماعي بوجه عام لتقليل التفاوت الذي يقضى على الفرص الاجتماعية في حياة ملايين المواطنين الهنود.

و بعد الاستقلال قد اعتزمت الهند الناشئة بأن تسير و تتقدم بسياساتها المخططة للعلوم و التكنولوجيا، فبفضل إجراءات عديدة تكاد الهند أن تحقق الاكتفاء الذاتي في الغذاء مما يجعل حالة شبه القحط التي سادت في الخمسينات حلما سيئا منسيا. و قد قضت التحسينات في قطاع الصحة على بعض الأمراض المعدية كما أن هناك ارتفاعاً في معدّل العمر الفردي. و الآن تؤفر الصناعات الصغيرة ٤٠٪ من إجمالي الناتج القومي مما يمثل تغييراً كبيراً في التسعينات بالمقارنة إلى الخمسينات. فالهند اليوم تستطيع أن تصمم و تطور و تطلق أقمارا ذات ثبات أرضي و معلومات الاستشعار عن بعد و أصبحت المؤسسات النووية قادرة على بناء محطات الطاقة النووية و الأدوية و الإشماع النووي للحبوب الزراعية من أجل زيادة الإنتاج الزراعي. و قد صارت الهند دولة ذات أسلحة نووية. و قد أدت البحوث الدفاعية إلى تصميم و تطوير و إنتاج دبابات قتال رئيسية و أنظمة صواريخ و منظومات حرب إلكترونية و أسلحة مختلفة. و الهند الآن قوة صاروخية. و قد رأينا في هذه الظروف نموا في تقنية المعلومات، و تتقدم البلاد في تجارة المعدات الثقيلة و الدقيقة التي تبلغ قيمتها أكثر من بليون دولار. و لكن البلاد، رغم مضى خمسة عقود منذ الاستقلال، لا تزال تعاني من الفقر الشديد (٤٠٪ تقريباً من مواطنينا يعيشون تحت خط الفقر) و البنية الأساسية الناقصة للصحة و التعليم.

**و لكى تصبح الهند دولة متطورة لابد من الأمور الأساسية التالية:**

(أ)

يجب أن تكون الهند قوية اقتصاديا و تجاريا، إذا أرادت أن تكون على الأقل إحدى الدول الأربع الرئيسية من حيث حجم الاقتصاد. و هذا يعني أنه

يــجــب أن يـبـلـغ نـمو إجمالي الناتج المحلي إلى ما يتراوح بن ٦٪ و ٩٪ و أن ينزل خط الفقر إلى أدنى من ١٠٪ من ٤٠٪ الحالي.

(ب)

شبه الاعتماد على النفس في حاجات الدفاع من الأسلحة و المعدات.

(ج)

لابد أن تكون للهند مكانة في الشؤون العالمية.

فـبـهـذه الـرؤيـة لـلـهند المتقدمة دعنا ننظر إلى ما يجب أن يفعل كل منا لـلـوصـول إلــى تـلـك المكانة. و هذه ثاني أكبر حركة لبلادنا بعد حركة الاستقلال الـكـبـرى. فـهناك دور لكل فرد في هذه الحركة. و أذكر هنا خمسة مجالات هامة يـمـكن أن نـتـخـذ فـيها عدة خطوات اقتصادية و تكنولوجية لجعل هذه الحركة نـاجـحـة: (١) الـزراعـة و مـعـالـجـة الـغـذاء. (٢) الـطـاقـة الكهربائية المتفوقة و الـمـعـتـمـد عـلـيـهـا فـي جـمـيع أنحاء البلاد. (٣) التربية و الرعاية الصحية. (٤) تـقـنـيـة الـمعلومات. (٥) القطاعات الاستراتيجية. فهذه المجالات الخمسة الـمـتـرابـطـة بـعـضـهـا بـبـعـض تـؤدي إلــى الأمن الـوطني و الضمان الغذائي و الاقتصادي.

أود أن أذكـر رأيـي حـول إمـكـانـيـة مـساهمة كل مواطن هندي مهما كان مـهـنـتـه فـي تـحـقـيـق هـذه الـرؤيـة للوطن. أجريت مناقشات مع الاقتصاديين و الاخـتـصـاصـيـين فـي الـزراعـة و الـتـكـنولوجيين من مختلف فروع الصناعة و الإداريـين الـحـكـومـيـين عـلـى اختلاف مستوياتهم و المهنيين و الناشطين من المنظمات غير الحكومية و رجال الاعلام و الزعماء. فأدركت أن الجهود المبذولة

في المجالات الخمسة من شأنها أن تؤدي إلى تحرك عظيم نحو تحول البلاد. و هذه المجالات تتميز بترابط داخل قوي بحيث أن أي تقدم في واحد منها سينعكس في المجالات الأخرى و فيما يلي نوضح تلك المجالات الخمسة.

**الزراعة و معالجة الغذاء:**

لابد للهند من مهمة ترمي إلى انتاج ٣٦٠ مليون طن على الأقل من الحبوب الغذائية خلال العقدين القادمين. و هذا القدر من الإنتاج سيكفل لنا الاستهلاك المحلي الأفضل و سيترك لنا أيضا فائضا كافيا كي نصدره و نعاون به البلدان الأخرى. و هذه المهمة تتطلب ثورة عظيمة في أعمال البحث و التطوير التكنولوجي و خدمات التوسيع الزراعي و فوق كله شبكة كبيرة من التسويق و الادخار و التوزيع.

**الطاقة الكهربائية:**

هذه أهم جزء من البنية التحتية و لابد منها من أجل زيادة إنتاج الغذاء و دعم العمليات الصناعية في المصانع الهندسية و الكيماوية و مصانع معالجة المواد بالإضافة إلى تأمين الراحة المنزلية للناس. و نحن نحتاج لها أيضا في قطاعات النقل و المواصلات و المعلومات التي لها أهمية حيوية بالنسبة للنمو الاقتصادي و خلق فرص العمل. و مما لا شك فيه أن نمو الإنتاج المحلي لأية دولة مرتبط ارتباطا قوياً بتواجد الطاقة الكهربائية. و الطاقة المتوفرة اليوم في الهند تبلغ ٨٥٠٠٠ ميغاواط. و منها يصل ٣٢٠٠٠ ميغاواط فقط إلى المستهلكين. و هناك عجز ما يقرب من ١٥٪ عند أقصى الحاجة للطاقة. و هذه الحاجة ستتضاعف بسبب ازدياد الطلب من عدة قطاعات. و لذا يجب اتخاذ خطوة عاجلة لزيادة توليد الكهرباء من الفحم و هيدروغاز و المصادر النووية

و يجب كذلك تكثيف البحث عن مصادر الطاقة غير التقليدية لأن الوقود الحفرية قد تنفد بعد بضعة عقود كما يتكهن به الإخصائيون. و يجب أن يجرى توليد الطاقة المتزايدة جنبا لجنب نقلها و توزيعها على نحو جيد لأن المستهلك يهمه فقط جودة ما يُوجد من الطاقة الكهربائية بالفعل لا الإخصائيات عن القدرة الانشائية للتوليد. فالتكنولوجيات و الأجهزة الإدارية الخاصة بتوزيع الطاقة إلى كافة أنحاء البلاد هي التي لها أهمية حاسمة.

**التعليم و الصحة:**

إن "كوبو" و كاروبان" اللذين سبق ذكرهما يمثلان ٦٠٪ من سكان الهند. فلديهما إرادة و رغبة ملحة في العمل و الجهد و لكن التعليم الناقص لا تسمح لهما باستغلال الفرص المتوفرة للحصول على وظيفة أحسن و لتحسين مستوى عيشهما. فانعدام فرص التعليم و التوظيف هو الذي يخلد فقرهما. و الأستاذ اندرا سين الذي قاد لجنة (مجلس تقنية المعلومات و التنبؤ و التقدير) للتعرف بالقوات الدافعة و العوائق قد حاول إيجاد حلول للمشكلة. فيرى أن الهنود يجب أن تتوفر لهم فرص التعليم الممتاز و تطوير المهارات، و هذا لا يمكن تحقيقه بالنظم السائدة في المدارس الريفية أو المعاهد المتواجدة في المدن و البلدات. و لا بد لنا من إيجاد مجموعة من القرى ذات صلة ممتازة فيما بينها عبر الطرق و المواصلات التي تربطها بالمدن القريبة أيضاً. و هذه المجموعات الريفية لا بد أن تكون لها مراكز التعليم الفائقة و المرافق الصحية لكى يستطيع الناس أن يرحلوا بيسر من قرية إلى أخرى و يحصلوا على أحسن التعليم و المهارة. و يلزم أيضا أن يتمكنوا من الاستفادة من مراكز الصحة المجهزة بكافة التسهيلات الأساسية. و هذه المراكز لابد أن تكون لديها قاعدة المعرفة و المعلومات لنصح الناس حول أساليب الوقاية الصحية. و لابد كذلك من أن تكون لهؤلاء المدرسين

و عمال الطب في هذه المراكز الممتازة إمكانية الاتصال بالاختصاصيين الآخرين في داخل الهند و أيضا في خارجها عن طريق المواصلات. و علينا الا ننسي الإنجازات الفائقة التي حققتها الهند في مواصلات القمر الصناعي. و الشيء الذي نحتاج له إلى جانب الخبرة التكنولوجية هو القيادة السياسية و الإدارية في جميع أنحاء البلاد لتنفيذ هذه المهمة بما يمنع اعاقة أبناء و أحفاد الرجال من أمثال "كوبو" و "كاروبان" و نستطيع به أن نحقق هنداً خالية من مثل هؤلاء المعاقين حتى عام ٢٠٢٠م.

**تكنولوجية المعلومات:**

إن هندسة البرامج و المنتجات و الخدمات المتعلقة بتكنولوجية المعلومات تمثل اختصاصات جوهرية في وثيقة الرؤية التكنولوجية. و سبق أن أتخذ قرار على المستوى القومي لجعل الهند دولة عظمى في مجال تكنولوجية المعلومات في غضون عقد تقريبا. و لابد لتكنولوجية المعلومات أن تشع شر اعتبارها أمرين هامين. و كلنا ندرك أن الهند لديها طاقة عقلية لإنتاج البرامج ذات مستويات اعلى و تشكل هذه البرامج تحديا لأفضل العقول الهندية و أنها في نفس الوقت مولد موارد الثروة أيضا و لا بد من تركيز الاهتمام على هذا الأمر باعتباره مجال المهمة الكبرى في تكنولوجية المعلومات. و إذا توفرت هناك ظروف لازمة فإن هذا المجال الوحيد سيحوّل تقنية المعلومات و قطاع الصناعات و الإلتكرونيات إلى أكبر وحدة اقتصادية. و مادة أخرى باتخاذ الإجراءات اللازمة لنشر تقنية المعلومات في جميع أنحاء البلاد لأغراض عديدة و منها نشر تعزيز التجارة و المعرفة عن الحقوق الاساسية و المسوؤليات و خلق المهارات و توفير المعلومات عن الرعاية الصحية الوقائية و أشياء أخرى مماثلة كثير بشأن إحراز مستوى أحسن للعيش. و يمكن أن تكون هذه اداة

مـفـيـدة أيضا لنشر التعليم حتى إلى أقصى ناحية من نواحي البلاد، و بها يمكن تـحويل نظام الهند التعليمي و توليد المهارة في غضون عقد واحد. إذا استطعنا نشر التكنولوجيات الاعلامية بصورة جادة و ابداعية.

**القطاعات الاستراتيجية:**

إضـافة إلى المهمات الأربع الكبرى المذكورة سابقا هناك مهمة ذات نفس الأهـمـيـة فيما يتعلق بالأمن القومي في سبيلنا إلى منزلة "هند متقدمة". و في الـبـيـئـة الـراهـنـة يـنشأ الأمن القومي من القوة التكنولوجية فهي التي وحدها ستـعـطـيـنـا الـقـوة الـحقيقية. و من تجربة الهند سواء في الزراعة أو مجالات الابـحـاث الـنـوويـة و الفضائية و الدفاعية أنه كلما يتولى رجالها من ذوي الرؤيا الواسعة مهمة ما فالنتائج تتحقق دون شك. و هذه الطاقة يجب توسيعها بإنشاء بـعـض الـصـنـاعات الكبيرة في مجال الإلكترونيات و الفضائية و أجهزة الرقابة المتقدمة. و هذه الصناعات لابد أن تعمل في ظروف مدفوعة بالسوق و أن تتوغل أسواق العالم بنجاح. فالهند مثلاً يجب أن تقوم بصنع الطائرات النفاثة الصغيرة لـلـمـسـافـرين و لـو كـان هـذا بـالتعاون مع اتحاد دولي، و كما علينا أن نتجر في الأقـمـار الـصـنـاعـيـة و تـوفـيـر الـخدمات المطلوبة لإطلاقها و ذلك على أساس تـجـاري. و يـجـب كـذلـك أن يكون من ضمن تجارتنا العادية تسويق أجهزة الجو و الـفـضـاء و تـوفـيـر أجـهـزة فـرعية للطائرات و خدمات الصيانة للمستهلكين الـعـالميين و بيع المنتجات المتعلقة بأجهزة الرقابة العالية و المواد المتطورة. و علينا أن نبدأ أيضا تسويق أجهزة الدفاع المختلفة على نحو مغامر مثل دبابات الـحرب الـرئـيسية و المدافع و الطائرات المقاتلة الخفيفة و بعض الأنواع من الـصـواريـخ و محطات الطاقة النووية. و الثقة نحو الاعتماد على النفس لابد أن يُرافـقـهـا التسويق العالمي كما يفرضه علينا العالم المتقدم. و لابد أن تكون مثل

هـذه الـطـريـقـة مـوضـع اهتمام في القطاع الاستراتيجي. و في هذا الاتـجاه قد تـولـت وزارة الـدفاع مهمة الاعتماد على النفس لكي تـحقق ٧٠٪ من إنتاج أجهزة الـدفـاع محليا حتى عام ٢٠٠٥م بينما المعدل الحالي لا يزيد عن ٣٠٪. و لإنجاز هذا الـمـرام لـقـد تـكـيـفت بنية الإنتاج و الدفاع إلى جانب دعوة المؤسسات الهندية الـعـامة للمشاركة في هذه المهمة الكبرى. كما يجب على الإدارات الأخرى التي لـديـهـا الـتـكـنولوجيات المتعلقة بالصناعات الاستراتيجية أن تساعد في إنشاء مصانع كبيرة تحتاج لها الأسواق المحلية و العالمية بشدة.

**التطبيق:**

إن اقـتـراحاتي لهذه المهمات الخمس الرئيسية لا تدعو لاعتماد الأساليب الـحـالية للتنفيذ الإداري و توسيع المؤسسات الحكومية. و إذا أردنا أن نتأكد من أن الـهـنـد تـسـيـر نحو تحقيق المرام المنشود لجعل الهند دولة متقدمة، فهناك حاجة ماسة لتغيير طريقة العمل الحالية و العقلية الجامدة الناشئة من النظام الإداري الـمـتـمـركـز. و من الـلازم اخـتـصـار الأجـهزة الحكومية الحالية بشدة و الاحـتـكـارات و الـمـنـافـسـات الـكـبيرة في تنفيذ عدة صفقات لهذه المهمات الـعـظمى. و لذا فان مشاركة القطاع الخاص مطلوب جنبا لجنب إجراءات أكثر حـرية و بساطة. تؤدي المنافسة الصحية إلى مهارة و ابداعية كبرى كما أن منح الـسـلـطـة لـفـرق الـتـنفيذ سيؤدي إلى سرعة العمل و زيادة القدرة على احتمال الأخـطار. و حيثما يرى تواجد الحكومة يجب جعل اسلوب عمليتها سهلا و يجب تغيير نظم المسؤولية العامة تغييرا ملائما.

و أعـتـقد أن هذه المهمات الخمس العملاقة، إذا اتحدت و نفذت باهتمام وطـنـي و قـومـي سـتؤدي إلى العمل الذي يشكل رؤية الوطن و سوف تأتي الموارد الـبـشـريـة و الإداريـة و المالية اللازمة من أولئك الذين اتقدت أذهانهم بما فيهم أولئك الذين يعملون في القطاعات الحكومية و الصناعية.

و مع أن الرؤية للهند المتقدمة يدفعها التطور الاقتصادي بالكامل إنها مصحوبة مع الاحتياجات الأمنية للبلاد. و من اللازم أن نرى أن دور المفكرين و العقلاء في البلاد أيضا مهم على نحو سوي. و هذا يعني أن الهند بسبب حضارتها القديمة و رغم تعرضها لغزو مختلف الدول، يجب أن تحافظ على عقلها المثقف بما يلائم نظام القيم الهندية. و إن عقول المفكرين القوية المعززة بثقة النفس مع العناية بخدمة الفقراء أمر مهم و مطلوب لإنشاء دولة متقدمة ـ مجتمع سعيد.

و عندما أفكر في كون الهند دولة متقدمة أرى شكوكاً في كل جهة حيث نواجه مشاكلنا في العلم و التكنولوجيا و عناية الصحة البنية الأساسية و ما إلى ذلك. و هذا يعود بذاكرتي إلى حدث وقع عقب خطاب ألقيته في حيدر أباد. جاءت إليّ بنت تبلغ العاشر من عمرها لتطلب مني إمضائي فسألتها، أيتها الآنسة: ما هي أمنيتك؟ فأجابت دون تردد " يا عمي، أريد أن أعيش في الهند المتقدمة" و أود أيضا اقتباس قول السيد سي. وي. رامان و هو في الثاني و الثمانين من العمر عند مخاطبة المتخرجين الشباب في الجامعة.

"أود أن أقول للرجال الشباب و النساء الشابات أن لا يتركوا الأمل و الشجاعة. و لا يبتسم عليكم النجاح إلا بالعكوف الجرئ على المهمة المناطة بكم و أستطيع أن أقول أن العقل الهندي في خاصيته و ميزته يساوي عقل أي تيوتوني أو اسكندنافي أو أنجلوسكسوني، و الذي ينقصنا هو ربما الشجاعة و الجراءة و الذي نحتاجه هو القوة الدافعة التي تقود الفرد إلى أي جهة و مكان. و أظن أنه قد أصابتنا عقدة النقص فإننا نحتاج اليوم في الهند تدمير تلك الروح الانهزامية و أننا نفتقر إلى روح راقية، روح تأخذ بنا إلى مكاننا الصحيح تحت الشمس و روح تعترف بأننا ورثة حضارة فاخرة فلذا نستحق مكانا شرعيا

حـقـيـقـيـا عـلـى هـذا الـكـوكب. فإذا طلعت فينا تلك الروح التي لا تعرف معنى الـخضوع و الاستسلام فلن يمنعنا شيء من تـحقيق مصيرنا الشرعي.

**تعريب : د/بشير أحمد**

❖❖

# النشاط العلمي في كشمير
# في عصور تاريخها القديم

بقلم: د/محمد مظفر

نالت كشمير صيتا في العالم أجمع بطبيعتها و موقعها الجغرافي الجميل الرائع الإستراتيجي حتى وصفت بأنها "سويسرة آسيا" و جنّة على الأرض. فكان من الطبيعي أن تجذب أفئدة أصحاب الأذواق السليمة الفطرية الأصيلة إلى نفسها جذباً و تخلب قلوبهم خلباً.

كان السلطان خرّم علي شاهجهان يحنّ إلى كشمير حنين الواله فلم يلبث أن قال قولته المشهورة:

"إنّ آدم تناول حبة حنطة فطرد من الجنّة، أمّا أنا فما تذوقت إلاّ عصير شعير. يا اللّه خذني إلى كشمير".

و ذكر المؤرخون كلام الملك جهانكير تكلّم به عندما حضره الموت و كان يتنفس نفسه الأخير و تهتزّ نفسه اهتزازاً شديداً:

"إن كل شيء تافه بالنسبة إلى جمال كشمير"

كما أن الشاعر العراقي الأستاذ فيصل محمد الخالصي عبّر عن ولعه الشديد بقصيدة رائعة ذكر فيها الجبال الراوسي، و السفوح المخضرّة، و الهضاب، و شجرة "التشنار"، و الأزهار المتفتّحة المختلفة الألوان، و هبوب

النسيم و غناء الطيور، و التماع الثلوج، و ارتجاع الصدى، و أنين الرياح بين السحاب ذلك عند زيارته لكشمير حتى قال:

"ما حياتي في غير كشمير إلاّ عمر تافــــه كسعر التراب"

أمّا بالنسبة إلى موقعها الجغرافي، فهي قلب آسيا طبق قول بعض الجغرافيين تتراوح مساحتها بين ١٨٠٠٠ و ١٩٠٠٠ كيلو متر، و ترتفع عن سطح البحر مابين ٥٢٠٠ إلى ٧٠٠٠ قدم، كما ترتفع سلسلة قلل الجبال التي تحيطها من الشمال إلى الغرب بحوالي ١٨٠٠٠ قدم، و من الجنوب إلى الغرب مابين ١٤٠٠٠ و ١٥٠٠٠ قدم.

هذا، و يقسّم أهل كشميرَ كشميرَ إلى "مَراز" و "كمراز" و "يمراز"، فالمنطقة التي تقع في شرق كشمير تدعى "مَراز" و التي تقع غرب كشمير سمّوها بـ"كمراز"، و التي تقع بينهما تسمّى "يَمراز".

**تسمية كشمير:**

ذكر الجغرافيون و المؤرخون كشمير و معانيها المتنوعة و أسماءها في مؤلفاتهم، و ذلك يتلخص فيما يلي:

١ ـ كشمير تعنى الأرض التي استعمرت بعد نزع الماء منها.

٢ ـ في اللغة السنسكريتية "كا" تعني الماء و "شمير" معناه انتزاع.

٣ ـ في الأدب السنسكريتي كشمير معناه الجبل، و سميّت بهذا الإسم لكونها وسط الجبل.

٤ ـ هي البقعة من الأرض التي يصعب الحكم على أهلها.

٥ ـ الروم القدماء سمّوها بـ كشبيريا (Kaspeiria) .

٦ ـ في الأدب الكلاسيكي يسمّيها هيرودوس كسبتيروس (Kaspatyros).

٧ ـ سمّاها هيون سانغ السائح الصيني القديم الذي زار كشمير عام ٦٣١م بـ"كيشيميلو" (Kia-shi-mi-lo).

٨ ـ و الكشامرة يسمّونها بـ كشمير أو كَشير.

٩ ـ و الدّردُ الذين يسكنون في دردستان في شمال غرب كشمير يسمّونها بـ "كَشْرَتْ.

١٠ ـ و يسمّيها التبتيون ب "كجل"(Kachal) يعنون بها الجبال الثلجية.

١١ ـ المهابهارت و الأدب البوذي يذكران كشمير باسم كَشْمِرَةْ.

١٢ ـ "كاش" كانت قبيلة بالسند سافرت إلى كشمير لذلك سمّيت بكشمير. و أن كاشغر و كاغان كذلك مشهورتان باسم هذه القبيلة.

١٣ ـ البلاذرى قال: ولّى أمير المؤمنين المنصور هشام بن عمر التغلبي السند ففتح ما استغلق و وجّه عمرو بن جمل إلى بوارج إلى نارند إلى ناحية فافتتح قشميرًا و أصاب سبايا و رقيقاً كثيراً.

هذا، و قد أفادنا المؤرخون الموثوق بهم أن كشمير كانت بحيرة حولها جبال مرتفعة. و كانت ستي جي "مها ديوي جي" (الإله الأكبر) تجري على الماء، و تتفرّج لذلك سمّيت بـ"ستي سَرْ وسرْ" معناه البركة. فقتل كشب ريشي بهوديوي الجنّ و أمر الماء من جانب بارهموله غرب كشمير بالخروج فجفّت البركة فسمّيت المنطقة بـ"كشب مَرْ" حتى أصبحت كشمير مع مرور الزمن.

أنجبت كشمير علماء بارزين، كما شوّقت الآخرين إلى زيارتها فلمّا قاموا بزيارتها أخذو بسحرها و طبعيتها الفاتنة فجعلوها موطناً لهم. فساعدتهم أوضاع كشمير السلمية إذ ذاك و طبيعتها المطمئنة الهادئة و هواءها الطلق على قضاء حياتهم الباقية بها، و إنشاء مدارس و دورٍ للعلوم و الكليات الإسلامية، كما صارت مركزاً لكبار السياح و الزّوار و المترجمين و الباحثين.

كانت نتيجة ذلك كلّه أنّ كشمير أصبحت دولة المدارس و الزوايا و المساجد، لعب كل منها دوراً هامّاً في نشر العلوم الإسلامية. كما اختاروا الحضارة الفارسية و ثقافتها و لُغتها متأثرين بدعوة السيد علي الهمداني الفارسي و أصحابه الذين بلغ عددهم إلى سبعماة.

أضف إلى هذا كلّه حسن حظّ الكشامرة وقتئذٍ بأنّهم رزقوا سلاطين مسلمين واعين دعاةٍ و أصحاب علم و معرفة تولّوا أمور المسلمين في المجالات كلّها أو جُلّها.

**فجر الإسلام في كشمير:**

تاريخ فجر الإسلام و طلوعه في كشمير يرجع أصلاً إلى القرن الأول من الهجرة و ذلك بقدوم مسلم شامي عام ٩٧ من الهجرة النبوية، و قد أخطأ من زعم أنّ عبد الرحمن البلبل شاه هو أوّل من دخل أرض كشمير من المسلمين عام ٧٢٦هـ قبل قدوم السيد علي الهمداني إليها، و لا يعرف من يعرف عن كشمير أكثر من أن الإسلام قد انبثقت أشعته في كشمير بين عامي ٧٤٠ ـ ٧٤١هـ عند ورود السيد علي ـ المذكور ـ إليها و تلك معرفة خاطئة جدّاً.

و بالعكس نرى بعض مؤرخّي كشمير ينقلون إلينا قصّة حميم الشامي الذي قدم إلى كشمير مع راجا داهر ابن الملك الذي كان يحكم السند بعد أن

انـهـزم الـثـانـي أمـام سـطـوة مـحمد بن القاسم الثقفى و جنوده لاجئا إلى والي كـشـمـيـر قـائلاً: "إن معي امرءاً مسلماً" فآواه الوالي و ضيفه و منح قطعة من الأرض سكن بها الضيف المسلم سمّيت بـ "ملجامر".

يـروي لـنـا شـيـوخ كـشمير أن "ملجى" معناه الرجل الوسخ القذر النجس و "مَره" معناه الأرض، "فملجامر" معناه "أرض الأنجاس" و قيل إن المسلمين الـذين لـحـقـوا بعد بالشامي كانوا يعملون عمل الجزّارة الذي هو أكره عمل عند الـهـنـدوس و البوذيين، كذلك سمّوهم "ملجيينَ"، هذا المكان يدعي بنفس الإسم حتى الآن و يقع على ساحل "جهلم" بعالي كدل سرينغار كشمير.

هـذا، و قـد يـتـضـح من تأريخ كشمير أن محمد بن القاسم قد بعث جنوده إلـى حـدود كـشـمـيـر فاستنصر حاكمها "جندر بدا" حاكم الصين، و لكن لم تقع الـحـرب بـين الـفـريـقين لإستدعاء محمد إلى دمشق و مغادرته إليها توّا. و نعلم بـالضبط أنّ العرب فتحوا كابل و تركستان أثناء خلافة الوليد عام ٨٦ من الهجرة أو بـعـده و وردوا إلـى كـاشغر أثناء خلافة هشام سنة ٤٣ - ٧٢٤هـ، و سيطروا على الـصـين عـام ٧٥١هـ،و يـتـضـح من هـذا أنـهـم قـد وطأوا حدود كشمير في هذه الأعوام البدائية.

من الأنـسـب أن لا نـمرّ مرّاً سريعاً بعد ذكر هذه الأحداث التاريخية لأنها تحمل في ثناياها بعض الحقائق، بل نمعن النظر و نتدبّر في السيل الإسلامي في ذلك العهد الذي كان يكتسح كل ما يلقاه في سبيله. و أصحابه كانوا يحملون بين جـنـوبـهـم قـلوباً خفاقةً متدفقةً بالإيمان القوي و العصبية العربية. و قد يتساءل الإنـسـان: هـل عمل حميم عملاً دعوياً؟ و هل أثرت النشاطات العلمية و الدعوية و الـحـربية و السياسية التي رفع لواءها الدعاة المسلمون العرب المتعصّبون في

عروبتهم و المتحمّسون في فتح البلاد تأثيراً ما في أقرب جار للسند و هي كشمير. إذ لم تكن آنذاك ثغور و حدود بين الدولتين بل كانتا شقيقتين.

بالإضافة إلى هذا نطالع في بعض الكتب التاريخية ساهم في تأليفه باحث هندوكي "كيه. ايل نريش" أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ قد أرسل رسولين إلى بندت دينارت يدعوه إلى الإسلام.

كما يظهر من التاريخ أن لليتاديته قد هزم المسلمين بمساعدة من الصينيين، و أمر "ملجيين" و تركيش" بتحليق رؤسهم و جعل أيديهم على ظهورهم فرقاً بينهم و بين الآخرين. فهل كانت هذه الإحتكاكات و الإختلاطات تعمل عملها و تفعل فعلها؟ و هل تبادل هؤلاء و أولئك آرائهم؟ أم كانوا كجمادات لا تتكلم و لا تفكّر و لا تتحرك؟ يفيدنا كلهن صاحب "راج ترنكنى" الموثوق به و المعتمد عليه في تأريخ كشمير أنه كان من نتيجة مجهودات حميم الدعوية أنّ "ايبيوكنت" الفلسفي المعروف أنكر ديانة "شيفا" و عبادة الأصنام و الأوثان بل و أنه قد نقد هذه الديانة نقداً لاذعاً و أدّى هذا العمل إلى أن رأينا بعد راجه هرش (١٠٨٩ ـ ١١٠١م) يذيب الأصنام المصنوعة من الذهب و الفضة و يصيّرها عملات لدولته و يذكره كلهن كأوّل سلطان مسلم في كشمير.

ذكرت هذه الحقائق التأريخية لنعرف أن الإسلام كان قد تمكّن في ربوع كشمير قبل عبد الرحمن شاه البلبل الداعي الكبير بقرون، و إذا كانت هذه النصوص التأريخية صحيحة فلابدّ لنا من أن نقبل أن حميم الشامي قام ببناء مسجد و رفع قواعده في "ملجامر" بمهاراج كنج" قريبا من عالي كدل سرينغار.

فيرجع تأريخ طلوع فجر الإسلام في كشمير إلى سنة ٩٧ من الهجرة، ثم حظيت كشمير بقدوم داع إسلامي و صوفي كبير و هو السيد عبد الرحمن البلبل

ساكن تركستان عام ٧٢٥هـ الذي ينجدر من سلالة سيّدنا موسى كاظم في عهد غياث الدين التغلق حاكم الهند حينذاك.

لم يذكر المؤرخون شيئاً عن ستة قرون تقريباً فيما يخص انتشار العلم و الثقافة من سنة ٩٧هـ إلى ٧٢٥هـ فلعلهم لم يجدوا شيئا يذكر عن هذه المدّة الطويلة إلاّ أن عندنا حقائق تدل على أن العلم و المعرفة كانا يسيران سيرًا حثيثًا و يقطعان مراحلهما بصورة غير ملموسة، و سيبطل دليلنا ما يظنّه علماء القارة الهندية بأن شاه ولي الله المحدّث الدهلوي هو أوّل من ترجم القرآن إلى الفارسية و أثار بذلك ضجّة في الدوائر العلمية إذ ذاك. حتى شمّر العلماء المتخلفون عن ساق الجد ضدّ هذا المحدّث العظيم.

و سيثير كلامنا ضجّة مثل ضجّة هؤلاء في الدوائر العلمية إذا جئنا مقدّمين إلى القراء نسخة من القرآن الكريم نسخها فتح الله الكشميري بخطّ بهاريّ مترجماً إلى الفارسية، متأكدين من أنها أول نسخة نسخت في القارة الهندية الغير المنقسمة، حفظها حتى هذه الآونة "المجمع الثقافي للفن و اللغات" تحت الرقم ٩٤، كتب الناسخ تأريخ الكتابة قبل سورة بنى اسرائيل و إليكم نصّه:

في سنة ستمأة و خمس و ثلاثين على يد فتح اللّه الكشميري"

عبد الرحمن البلبل شرّف كشمير بقدومه عام ٧٢٦هـ، و هذه النسخة كتبت سنة ٦٣٥هـ، أعنى قبل قدومه بواحد و تسعين (٩١) عاماً، هذا، و قد يُعدّ المحدّث الدهلوي أوّل من قام بترجمة القرآن إلى الفارسية في الهند و سمّاها باسم "فتح الرحمان بترجمة القرآن"، و بالضبط أنه وُلد عام ٧٠٤هـ بدلهي، فيتضح لنا أن نسخة فتح اللّه كتبت قبل ولادة الدهلوي بتسع و ستين سنةً (٦٩).

و نعلم بالتاكيد أن أمة لا تصل إلى ذروة العلم مباشرة قبل أن تمرّ بمراحل عديدة تستغرق في بعض الأحيان قرناً أو قروناً تهلك فيها أجيالها، فترجمة فتح اللّه أنما ترمز إلى تلك المراحل، كما تشير إلى أنّ الشغف بالعلم كان رائجاً في كشمير قبل قدوم البلبل شاه بقرن كامل على الأقلّ.

إلّا أننّا نستطيع أن نقول إن الإسلام و علومه راجت رواجاً بدعوة البلبل شاه و كانت من قبل تمرّ مرّا فطرياً أصيلاً. و كانت شعلة تحت ركام من رماد. فهبت الريح و انكشف الرماد و ظهرت الشعلة إلى الوجود.

التأريخ يذكر إنّ الملك "سيه ديو" ملك كشمير كان له وزيران "شاه مير" و "رينجان"، الثاني منهما كان ابن ملك ثبّت" الذي لجأ إلى سيه ديو فجعله من حاشيته، و كان الوزيران ذكيين فطنين عاقلين يعرفان تدبير المدن. و فوجئت كشمير بهجوم حفيد جنكيز خان "ذو الجوخان" على كشمير، فوقعت في حيص بيص، و لم يستطع "سيه ديو" مقاومته و اخذ طريقه إلى "كشتوار" هارباً و تاركاً كل شيء وراءه، و لكن قائده "رامجندرجي" و وزيره "شاه مير" و "رينجان" قد حاولوا تنظيم الدولة بعد رجوع الفاتح من كشمير، حتى وقعت زمام الأمر في يد "رينجان شاه" بعد ما قضى على القائد بقتله، و أصبح شاه مير وزيراً له و صديقاً حمياً.

يتفق التأريخ على أن "رينجان" كان يعتنق ديانة بوذا و كانت عاصمته بـ"عالى كدل سرينغار"، و أهل كشمير يسمّون ذلك الحي حتى الآن بـ"بدهـ كير" و "ملجام" حيث سكن حميم الشامي عام ٩٧ تقع بجوار هذا المكان. فكان رينجان لا يطمئن بتلك الديانة المعتنقة من جانب و من جانب آخر سنحت له الفرصة في كشمير لمطالعة الديانة الهندوكية الوثنية، و لكنه أخفق في أن يجد

فيها ما يشفي غليله القلبي، و يخفّف من اضطرابه العقلي فوقع في حزن، و قرّر أخيراً في ليلةٍ:

"إن أوّل شخص في الصباح الباكر يقع عليه نظرى أعتنق ديانته" كان الفصل صيفاً، و كانت شبابيك غرفته في القصر مفتوحة و ذلك على شاطئ نهر "جهلم".

استيقظ الملك صباحاً و مسح عينيه و أطلّ من شرفته الفخمة فوقع نظره الثاقب على رجل بسيطة ملابسه مغبر وجهه مشغوف في عبادته مادّ يديه المهزولتين البيضاويتين إلى جناب اللّه يدعوه، لم يكن الملك قد شاهد مثل هذا المنظر من قبل، فأحس بثورة في عقله و ذهنه كما شعر بأن مغناطيسياً يجذبه إليه، و كأنما شفى غليله و أحس باطمئنان و هدوء عقلياً. و كان هذا العابد عبد الرحمن البلبل شاه. فلمّا سكن جأش الملك و اطمئن قلبه أمر حواشيه بإحضار هذا الداعي العابد بكرامة و حفاوة و احترام بالغ فلما جيئ به رحّب به الملك و استقبله استقبالاً حراً و أجلسه بجانبه و سأله عن إسمه و ديانته، فقام هذا بشرح الإسلام و مباديه شرحاً أثر في الملك تاثيراً بالغا و أخذ مأخذه و أسلم على يديه و صار الخرز لؤلوءا يتلألأ تنوّر به حاشيته و رعيّته التي كان يرعاها.

كان ذلك منظراً رائعاً شاهدته أول مرة سماء كشمير و أرضها فانقلبت بطنا لظهر، و بنى الملك زاوية لمرشده و أقام له مطبخاً ضخماً كمركز للإسلام في كشمير، يسمى هذا المكان حيث بنى المطبخ "بلبل لنكر" و" لنكر" معناه المطبخ الكبير.

لم يقض بلبل شاه عامين و نصف عام بعد إسلام رنيجان شاه حتى قبض اللّه روحه إلى جواره، كأنّ اللّه كان قيّض شخصيته لإسلام رينجان شاه، لأنه لم

يمكث في كشمير إلاّ من عام ٧٢٥ إلى ٧٢٧ فحسب، و لكنه ترك خلفه عدداً كبيراً من معتقديه من بينهم الحاكم هذا و ابن قائد كشمير الذي ولاّه الحاكم منطقة من كشمير الغربية الشمالية كى لا يثور عليه ثأراً لأبيه الذي قتله الحاكم رينجان شاه من قبل. و تحوّل ابن القائد "شرى راون جندرجى رانا" إلى داعية كبير أسلم على يديه جمّ غفير من أهالي كشمير، كما ترك خلفه "شاه مير" وزير رينجان شاه و موسى رينه و الملك محمد الناجي و الملك حيدر جادوروى و انحدر من هذه السلالة بابا عثمان الذي أنجب العلامة الشيخ حمزة المخدوم العبقري في العلم و المعرفة.

و "شاه مير" هو الذي نظّم الدولة بعدْ تنظيما متينا و جعلها كدولة إسلامية عظيمة، و ذلك لأن بلبل شاه كان قد ركّز مجهوداته كلّها في تربيته و تثقيفه، هو الذي أسّس دولة "شاه مير" التي استمرت إلى قرنين و نصف قرن تقريباً. أصبح "شاه مير" الملّقب بالسلطان شمس الدين خلف صدق لرينجان شاه الملقب بصدر الدين. فبلبل شاه داعية عظيم لم يأل جهداً إلاّ و بذله في تربية هذه الشخصيات الهامة الذين كانوا يتولون أمور الناس. "و الناس على دين ملوكهم"فآمنوا مع إيمانهم، كما أن هذا الداعية هو الذي مهّد الطريق للسيد علي الهمداني ليقوم بدعوة منظمة إلى الإسلام و تحلّى الناس بالثقافة الإسلامية الخالصة. فقام السيد علي الهمداني بإزالة ما كان هناك من آثار للطقوس غير الإسلامية ليبنى هنا صرحاً على أساس الثقافة الإسلامية البحتة.

و حقاً غيّر السيد علي "المقاييس القديمة و أحلّ محلها المقاييس الجديدة الإسلامية الإيرانية، حتى أن معظم ثقافة كشمير تتشابه و تتماثل بثقافة إيران، أو قل بثقافة آسيا الوسطى. لم يتمكن من ذلك إلاّ ببذله المجهودات الجبارة بمساعدةٍ من سبعمأة داعٍ الذين استصحبهم من مولده

الـهـمدان إلى كشمير و تشهد بذلك الزوايا و التكايا المتنوعة التي توجد بكشمير في اماكن مـختلفة.

فـالسيد علي الهمداني هو الذي أرسى القواعد على الأساس الذي كان على وشـك الإنـدراس و الـتـمحّى، فـالـفـضل يرجع إليه في تصيير كشمير إلى بقعة إسـلامـية لها ثقافتها و حضارتها و لها كلّ ما يكون لدولة، و بمساعيه و أصحابه أقـيـمـت الـمدارس و الجامعات و الكليات و الزوايا، و بمجاهدته بنيت المساجد و عـمـرت، و بمحاولاته الجدية تقدّمت كشمير إلى أوج التقدم في الماضي و من أهمّ مـسـاعيه أنه جاء من موطنه بجالية لا مثيل لها في العالم كله، و هي أكبر جـالـيـة إسلامية دعوية في تأريخ العالم، و كلّ داعٍ كان أمة و جماعة في نفسه، فبعثهم السيد إلى ضواحي كشمير فجعل الزمان يدور دوراناً لا نظير له في تأريخ كشمير العلمي و الثقافي و الدعوي.

كـان الـسـيـد وُلـد عام ٧١٤هـ بهمدان ـ في عهد الإنـحطاط للعالم الإسلامي فـرأى بـأمّ عـيـنيه اضطهاد التتار ـ وُلد من أب كريم صوفي عالم السيد شهاب الـدين و من أمّ حصان السيدة فاطمة، و تلمذ على كبار العلماء منهم علاء الدين الـسـمـناني خاله، و أبو البركات على دوستى السمناني. و أبو الميامن المزدقانى، و مـحـمـد بن مـحـمد الأذكاني، تجول في معظم البلاد الإسلامية فقابل أولياءها و صلحاءها و علماءها و تلقى منهم العلوم الإسلامية و التربية الإسلامية.

و كـانـت رحـلـته الأولى إلى كشمير عام ٧٤٠ أو ٧٤١هـ في عهد شهاب الدين حـاكـم كـشمير و مكث بها أربعة شهور ثم رجع لأداء الحجّ و كانت رحلته الثانية عـام ٧٨١هـ فـي عـهـد قـطـب الدين فأقام عامين و نصف عام و كان قدومه إلى كشمير المرّة الثالثة عام ٧٨٥هـ.

**نشاطات العلوم الإسلامية في كشمير في عهد السلاطين:**

قبل أن نتكلّم عن نشاطات العلوم الإسلامية في كشمير لابدّ لنا من أن نذكر أنّ كشمير كانت مشهورة عند الهنادك بالاهة العلم (سرسوتي) و كان لها سهماً هاماً في تطوير علومهم و فنونهم، و كانت مهداً ممهّداً و فرشاً ناعماً للبراهمة، و كانت مكانتها كمكانة "سوق عكاظ" حيث كانت البحوث و المقالات و الكتب تعرض على علماء كشمير مهما بلغ مؤلّفوها من مستوى علمي، و نتاج عقولهم و قرائحهم لم يكن ينال رواجاً و شيوعاً ما لم يحظ باشادة لدى علماء كشمير، فلما قرّظوه سار به الركبان و شاع كشيوع النار في الغابات.

شهد بهذا البيروني في كتابه"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة" قائلاً: "إنه لم تصل أيدينا إلى ما وصلت إليه كشمير و بنارس في العلم و الفن" كما شهد بمكانة كشمير الدكتور ناغاراجن بقوله:

"إنّ الملك كنيا كتيا امر أحداً من حاشيته يدعى هرش و كان شاعراً مفلقاً بأن يؤلف كتابا باللغة السنسكريتية ضخما كمصدر و مرجع للباحثين، فأتعب الشاعر نفسه و أجهدها في جمع المواد للكتاب ثم في ترتيبه حتى عرضه نظماً على الملك و سمّاه نى شدهـ (Naisadha) و لكن الملك أمره بأن يعرضه على براهمة كشمير و يقدمه إلى "إله العلم" ثم يخبره عن ما شاهد و جرّب".

و يذكر المؤرخون أنّ أوّل من نسخ الفيدا الكتاب المقدس عند الهنادك هم هنادك كشميريون، و هم الذين كانوا يحفظونه من قبل على ألواح عقولهم أبا عن جدٍ و كابرًا عن كابرٍ، كما يقولون إنّ "هيون سانغ" السائح الصيني القديم عندما زار كشمير قابله حاكمها بحفاوة بالغة، فمكث الـ ـائح بكشمير عامين كاملين

و طالع "شاسترى" بمساعدة من عشرين عالماً هندوكيا كشميرياً فأشاد بذكرهم إشادة.

مهما كان الأمر فقد ذاعت العلوم المختلفة في العصور العديدة عن طريق الديانات، فمثلاً راجت السنسكريتية في عهد الهنادك، كما راج دينهم و ساد. و حتى أن عبادة الأفعى عند الهنادك بدأت في كشمير، و هم يزورون أهمّ آلهتهم في كشمير حتى هذه الأونة، و لمّا حلّ البوذيون محل الهنادك أصبح لهم الصول و الطول و شاعت فلسفتهم القديمة تحت رعاية الملك أشوك أو كنشك، و حتى أن مؤتمرهم الدولي عقد في كشمير، و كان ذا خطورة عظيمة و أهمية كبيرة و كان ذلك مؤتمرهم الأخير.

و لما استقبلت كشمير الإسلام بابتسامات و تهللت به بُشرًا و سعادةً و هو حديث العهد لها، فأقبل أهلها على هذا الدين الجديد و حولوا نشاطهم إلى المجال الإسلامي بنفس الحماس و الجد فقاموا بنشر تعاليمه بطرق عديدة. و العوامل التي لعبت دوراً كبيراً في هذا الخصوص هي كالآتي:

**المساجد، الزوايا، المدارس الإسلامية، الجاليات:**

سبق لنا أن ذكرنا أن حميم الشامي قد بنى مسجداً في ملجامر بكشمير فالمسجد في القرون الأولى لم يكن مكانا لأداء الصلوات الخمسة فحسب و إنما كان مركزاً لنشر العلوم الإسلامية من حفظ القرآن و التفسير، و درس الحديث و شرحه، و الفقه الإسلامي، و منطلقاً هاماً للنشاطات العلمية و الدعوية، كما كان داراً للإفتاء و القضاء في آن واحد، و ملجأ للفقراء البائسين هاماً، فلابدّ أن يكون مسجد حميمٍ قد أدى مسئولياته، و قد أشرنا إلى نتيجة دعوة حميم من قبل. فمسجده هذا كان المدرسة الأولى في كشمير.

و بعد مضى قرون قام رينجان شاه الملقّب بصدر الدين سلطان كشمير ببناء زاوية و مسجد و مطبخ لمرشده السيد عبد الرحمن البلبل، و بالاضافة إلى تزكية النفوس كانت هذه الزاوية تمثل دوراً هاماً لنشر التعاليم الإسلامية، و توعية الشعب الحديث العهد بالإسلام بمبادئ الدين الجديد، و كان أصحاب العقول المتطورة يُثيرون أسئلة و يوجّهونها إلى السيد البلبل ليجيب عنها، كما تثار الأسئلة في الكلّيات و الجامعات و دور العلوم، و تزكية النفس نفسها تتضمّن أحكاماً و أصولاً لاتنفك عن العلوم.

و جماعة السادات التي كان يرأسها السيد علي الهمداني قد أيقظت كشمير من رقدتها و انتشر أفرادها في ضواحي كشمير و أطرافها و بنى كل شخص منها زاوية لأداء أمانتهم العلمية و الدعوية التي جاءوا بها من مواطنهم، و كل فرد منها مدرسة و أدركنا من قبل أن عدد هؤلاء الناس كان سبعماة سيّد.

قدم الهمداني في المرّة الثانية في عهد قطب الدين وفق "دائرة المعارف الإسلامية" و كان هذا السلطان يُحبّ العلم و العلماء، كما كان يتمنى أن تروج العلوم الإسلامية في ربوع كشمير. فبنى مدرسة. و لعلها هي أوّل مدرسة أسّست في كشمير بإسم مدرسة:

**مدرسة السلطان قطب الدين:**

لم تكن المدارس تبنى منفصلة عن المساجد في القرون الأولى بل و كانت أعمدة المساجد و تدرس فيها المواد المختلفة. استمرّت هذه الحال حتى العهد العباسي عندما تطلبت الأوضاع إلى بنائها مستقلّة. فالسلطان قطب الدين هو من أولئك الأوائل الذين نهجوا منهجاً حديثاً في تدريس الطلبة، اضف إلى ذلك أنه أضاف إلى المدرسة رواقاً ضخماً لسكن الطلبة و الأساتذة تحقيقاً لامنيته،

أقامها في قطب الدين بوره بـ عالى كدل سرينغار حيث كانت عاصمة دولته، كانت الدولة نفسها تقوم بكفالتها و الاهتمام بشئونها، كما كان التعليم مجّاناً و كان الحاجّ محمد القارئ رئيساً للمدّرسين أوّلاً بأول، و في عهد حكومة جك التي قامت عام ١٥٦١م، و كان غازى شاه أول سلطان لها تولى هذا المنصب مولانا رضي الدين الكشميري فتلمذ على هذا المدرس الجليل العلاّمة داؤد الخاكى الفقيه الصوفي العالم الذي يعترف بفضله في العلم و المعرفة، كما تلمذ عليه مولانا شمس الدين بال المحدّث، و تولى هذا المنصب العظيم بعد رضي الدين مولانا جوهر نات الكشميري و هو تلميذ الحافظ ابن حجر الهيتمى المعروف و كان جوهر نات ملقّبا بالمحدّث الجليل، و من مدّرسي هذه المدرسة المشهورين الممتازين الملاّ محسن الفاني و الحاجّ الشيخ الكنائي.

أمّا الطلبة الذين تخرّجوا في هذه المدرسة فمنهم: العلاّمة الشيخ داؤد الخاكى صاحب تأليفات كثيرة، و الملاّ طاهر الغنى الأشائي، و محمد الزمان الأشعي، و قاسم الترمذى و مولانا محمد الكاوس.

مازالت هذه المدرسة تروى غليل ظامئ العلم إلى قرون طويلة حتى احتلّها السيخ و أغلقوا عليها باب الإيرادات كلّها ثم قضوا عليها. يشهد التأريخ أن هذه المدرسة لعبت دوراً رائعاً و رائداً في ترويج العلم الإسلامي حتى أنّ الطلبة كانوا يفدون إليها من العراق و الخراسان لتلقّي العلم في عهد سكندر و السلطان زين العابدين. فلو لم تدر عليها دائرة الزمان لعُدّت من الجامعات القديمة التاريخية كالأزهر في مصر، و لكن اللّه يفعل ما يريد.

**مدرسة السلطان قطب الدين الأخرى:**

يذكر "الصوفي" صاحب كتاب "الثقافة الإسلامية في كشمير"، الموثوق به في تأريخ كشمير الثقافي. أنّه كانت مدرسة أخرى أقامها قطب الدين نفسه

باقتراح من السيد علي الهمداني لتحفيظ القرآن الكريم و كان بعض السادة الذين صحبوا السيد من جيلان مدرسين في هذه المدرسة، و كان رئيس المدرسين الشيخ سليمان الملقّب بإمام القراء إذ ذاك.

## مدرسة العروة الوثقى:

قام بإقامة هذه المدرسة الشيخ جمال الدين المحدّث و المفسر الذي يقال إنه كان من أقرباء السيد علي الهمداني و كان يسكن حيث كان يسكن الهمداني في همدان، لم يكن هذا المحدّث يود مغادرة همدان إلاّ أن السيد علي قد أقنعه للهجرة إلى كشمير لكى يستفيد منه شعب كشمير علماً و معرفة ففاز به، فاتّخذ الشيخ جمال الدين كشمير كمنطلق و مصدر لنشر علمه الجمّ و رأى خير وسيلة لذلك إنشاء مدرسة فأنشاءها، و نلك في عهد السلطان قطب الدين و سمّاها "بمدرسة العروة الوثقى"، فاثبتت حقّاً عروةً لا انفصام لها تمسك بها الكشميرون تمسّكاً، كما أخذت تبسط أشعّتها العلمية و الدينية على أرض كشمير بسخاء وجود و كرم كشعاع الشمس الساطع اللمّاع، حتى دارت عليها دائرة الزمن كما دارت على أخواتها فقضت نحبها فلم يبق منها إلاّ اسمها المبتذل "أروتهـ".

و الجدير بالذكر ما كتبه بعض الباحثين المرموقين الموثوق بهم في تأريخ كشمير العلمي و الثقافي و السياسي:

"إن السيد جمال الدين الأفغاني زار كشمير، و نزل ببيت خبّاز ـ كانت بيوت الخبّازين إذ ذاك أروقة"، فمكث أياماً و ليالي و قام بمشاهدة مناظر كشمير و زيارة المدارس الإسلامية و ما يترعرع فيها، كانت من بينها مدرسة العروة الوثقى التي أقيمت في عهد شاه مير، فاعجب باسمها إعجاباً شديداً أخذ

بـقـلبه، فلما رجع إلى فرنسا أصدر مجلّة تدعو إلى الرابطة الإسلامية، و سمّاها "العروة الوثقى".

يـتـضـح مـمـا ذكـرنـا عن جمال الدين الأفغاني أن هذه المدرسة قد بقيت لـحـوالـي خـمـسـة قـرون. لأنها أنشأت في عهد السلطان قطب الدين الذي حكم كـشـمـير من ١٣٦٩م إلى ١٣٧٣م و السيد جمال الدين وُلد عام ١٨٣٩م فبين تأريخين بـون خـمـسـة قـرون تقريباً. فهذه المدرسة كانت من أولى المدارس التي خدمت العلوم الدينية عبر القرون الخمسة.

**مدرسة السلطان سكندر:**

كان السلطان سكندر ابن السلطان قطب الدين خلفاً لأبيه صالحاً فاقتداه فـي نـشـر الـعـلـوم الإسـلامـيـة و حبّ العلم و العلماء خلّد إسمه و ذكراه بإنشاء مـدرسة تربط القديم الصالح بالجديد النافع، و ذلك بـ"نوهته" سرينغار قريباً من مسكن أبيه بكيلو متر بل و أقل من ذلك. و جلب لها مدرّسين عظماء كبارا و عيّن الـسـيد محمد علي البخاري العملاق كرئيس المدرسين و كان من أشهر مدرسيها و أعـرفـهـم: مـولانـا الـسيد حسين المنطقي و مولانا محمد يوسف و مولانا صدر الـدين الـكـاشي و مولانا محمد أفضل، و كانت العلوم العصرية أيضا تدرس فيها بينما حظيت العلوم الإسلامية بالدرجة الأولى من العناية.

**مدرسة مولانا محمد أفضل:**

أسّس مـولانـا مـحـمد أفضل مدرسة بـ"نوشهرة" سرينغار لعبت دوراً هامّا رئـيـسـيـاً فـي تـنـمـيـة الـجيل على العلوم الدينية و كانت حكومة كشمير تقوم بكفالتها و دعمها المالي.

ازدهرت كشمير ازدهاراً ملموساً في عهد السلاطين و أمست مهوى عصا(سير) كثير من العلماء أخذوا يفدون إليها من كل فجّ عميق لنيل الجاه عندهم و بدأوا يؤلّفون الكتب بإسم السلاطين لتقريبهم إليهم زلفىً، و أدّى إلى هجرة العلماء إلى كشمير امران هامّان: سقوط الدولة العباسية ببغداد و اضطهاد العلماء بأيدى التتار الشرس و تشريدهم. ثانياً كون كشمير آمنة مطمئنة من هذا الجور من جانب و حب السلاطين الكشميريين المسلمين للعلم و العلماء من جانب آخر.

سافر العلماء إلى كشمير بعلومهم و فنونهم و معارفهم تاركين كل ما لديهم في مواطنهم، و لم يكن همّهم و هدفهم في مواطنهم سوى التعليم و التعلّم و لم يكونوا يعرفون الصنعة و الحرفة فيبذلوا مجالاتهم الخاصّة، فلم يكن لهم بدّ من أن يفتحوا مدارس في كشمير مَهجَرهم أو أن يؤلّفوا الكتب فكان ذلك، فامتلأت كشمير بالمدارس و الكليات و كان من حسن حظّها أن السلاطين اهتموا بشئونها و أمورها و كفالتها، فلا غرو أن نقول إن شمس الدولة العباسية قد غربت في بغداد فطلعت في كشمير ساطعة.

رزقت كشمير "مأموناً" ألا و هو السلطان زين العابدين الذي تولى الحكم عام ١٤٢٠م و استمرّ حكمه إلى خمسين عاماً. وصلت كشمير في عهده إلى قمة التقدم و الرقى، هو الذي ربطها ببلاد آسيا الوسطى ربطاً علمياً ثقافياً و حضارياً وثيقاً، كما جعلها مملكة إسلامية خالصة بما دفع بالفضلاء و العمالقة للهجرة من بلدانهم إلى كشمير بعدد كبير.

كان السلطان هذا عالماً باللغة الفارسية و العربية و السنسكريتية و التبتية. كان يمارس قرض الشعر بالفارسية و " كشميرية، كما كان عالم دين

فـكـان مـلك حُسنيين السلطة و العلم. قيل إنه سمع عن نسخة لتفسير الكشاف مـخـطـوطـة بيد المفسّر نفسه أصبحت زينة لمكتبة بمكة المكرمة فلم يقرّ له قـرار حـتـى أرسـل كـاتـبـاً عـالـماً إلى مكة توّاً لكتابتها و نقلها إليه و كفل جميع تـكـاليف سفره و قيامه بمكة و أسرته، فنقلها الكاتب و عرضها على علماء مكة لـلـتـوثـيـق ثـم رجـع إلـى كشمير بعد مضى عامين كاملين. فأودع السلطان هذا الكتاب في مكتبته الضخمة.

و كـمـا أن المأمون وضع أساس "دار الحكمة" فكان المترجمون يترجمون الـكـتـب الـيـونـانية إلى اللغة العربية، كذلك نرى "مأمون كشمير" السلطان زين الـعـابـدين يـحـذو حـذوه و ينسج على منواله، و كان يزور هؤلاء الأولياء و العلماء الذين توطّنوا كشمير في عهده فارّين من اضطهاد "تيمور" الذي نزل على العالم العربي كصاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود. و كان السلطان يستفيد من نصائحهم و مـواعـظـهم، و كان من بين هؤلاء العلماء، السيد ناصر البيهقي و السيد محمد الـرفـاعـي كـمـا كـان يـسـتـفـيد من فلسفة نورالدين الريشي الكشميري. إقتدى الـسـلـطان هذا سلاطين كشمير المتقدمين في بناء زوايا (خانقاهات) و مساجد و مدارس، من بينها:

**مدرسة السلطان زين العابدين:**

نـقـل الـسـلـطان عاصمة "شاه مير" من عالى كدل سرينغار إلى "نوشهْره" بـسرينغار، و رأى أن يبنى مدرسة لتعليم الإسلام في عاصمته لعلّه كان يريد بذلك أن يقرب بها العلماء منه و أن يسهل له الإستفادة منهم علماً و فقهاً لإدارة دولته، جـلـب الـسـلـطان كبار العلماء لهذه المدرسة كان من بينهم: شيخ الإسلام الشيخ الـكـبـيـر الـنـحـوي رئـيس المدرسة، و الملاّ أحمد الذي كان يُتقن اللغة العربية

و الفارسية و السنسكريتية، و الحافظ البغدادي و الشيخ جمال الدين الخوارزمي، و الأمير علي البخارى و الشيخ يوسف الرشيدي.

نالت هذه الدار صيتا في العالم الإسلامي فجلبت طلّاباً من خارج كشمير بالإضافة إلى الفضلاء و العلماء الذين كانوا يزورونها حينًا بعد حين، كما قامت بدور القضاء و الافتاء تحت رئاسة قاضي القضاة الشيخ جمال الدين الخوارزمي السالف الذكر.

كان السلطان نفسه يتلمذ على هؤلاء العلماء و يقوم بتوفير الإيرادات لهذه المدرسة كما كان ينفّذ فتاوى قاضي القضاة و توجيهات العلماء و إرشاداتهم حتى أمكن له أن يجعل كشمير منطقة إسلامية محضة.

يعدُّ عهده عهداً زاهراً للعلوم الإسلامية بكشمير، و هو صقر كشمير الذي ذكّر الناس بعهد عمر الفاروق بعدله، كان الهنادك الكشميريون يشيدون بذكره لعدالته، اشتهر بين الناس بـ"بد شاه" يعنون به السلطان الأكبر، و هو الذي أنشأ زينه لنك و سونه لنك في وسط بحيرة ولر و بحيرة دل على وجه الترتيب. كما نرى تسمية الأماكن و الجسور بإسمه: مثل زينه كدل، زينه بازار، زينه بوره، زينه سهو و زينه كير وغيرها.

**دار الترجمة:**

السلطان زين العابدين هو أوّل من أنشأ "دار الترجمة" في كشمير بجوار مدرسته التي ذكرناها ملأها بالمراجع و المصادر المهمّة و المخطوطات النادرة التي حصل عليها من البلدان الإسلامية. فكأنّ دار الحكمة قد أغلقت ببغداد و فتحت بكشمير، كان لا يطّلع على كتاب في العالم الإسلامي إلّا و طلبه من صاحبه و أودعه مكتبته كما سبق لنا القول عن تفسير الكشاف: كان

السلطان نفسه يكفل المترجمين الماهرين كفالة تغنيهم عن تكاليف الحياة كلّها.

يتضح من التأريخ أن الكثرة الكاثرة من العلماء الذين كانوا يتقنون السنسكريتية و العربية و الفارسية و الهندية كانوا موجودين كل لحظة في دار الترجمة، و كان نفسه عالماً بلغات مثل الفارسية و العربية و السنسكريتية كما كان شاعراً بالفارسية و الكشميرية، بالإضافة إلى هذا أنه كان يملي كتباً على الكاتبين، و منها كتاب أملاه على عالم يدعى "بحبيب" و يتضح من بعض الوثائق التاريخية أنه لقّب بالقطب.

كانت الكتب تترجم من السنسكريتية إلى الفارسية مثل كتاب "راج ترنكى" "لكُلْهَنْ" ترجمه الملاّ أحمد بإسم "بحر الآثار" و مهابارت من تلك الكتب التي ترجمت إلى الفارسية، كما كانت تترجم الكتب من الفارسية إلى السنسكريتية مثل "يوسف زْليخا" ترجمه "شرى ور" و"فيدا" و شاستر من تلك التي ترجمت إلى السنسكريتية بالإضافة إلى الكتب العربية التي ترجمت إلى السنسكريتية.

**مدرسة بإسلام آباد:**

هي من المدارس المشهورة الكبرى التي برزت إلى حيّز الوجود في عهد السلطان زين العابدين، لم نطّلع على مؤسس هذه المدرسة إلاّ أنّ العلوم الإسلامية و العلوم المروّجة في ذلك العصر كانت تدرّس فيها مجّاناً، و كانت قد أقيمت في إسلام آباد بكشمير الجنوبية.

**دار الشفا:**

أسّس السلطان حسن شاه [١٤٧٢ ـ ١٤٨٤م] في عهده، كلّية إسلامية كبيرة ساهم في بناءها باحثون و علماء مساهمة لا بأس بها. و سمّاها السلطان بدار

الشفا، كما وقف لإيراداتها "زينه كير" منطقةً من مناطق كشمير، و كانت تقع بجانب جُبيل "ماران" قريبة من "الخانقاه الكبرى" و كانت تلحق بها مكتبة ضخمة متضمنة مصادر قيمة إسلامية، وآثار هذه المدرسة و دمنها لم تندرس حتى هذه الآونة.

أما العلوم التي كانت من مقرّراتها فهي العلوم الإسلامية و الرياضيات و المنطق و الفلسفة وغيرها. كان السلطان قد وقف لإيرادات المكتبة القرى و المدن كما كان يلحق بهذه الكلية و المكتبة رواق لسكن الطلاب و الباحثين، وكان الشيخ فتح الله الخاقاني مديرها و تخرّج منها العلاّمة حمزة المخدومي المعروف.

**مدرسة الملاّ حيدر:**

أقام العلاّمة الملاّ حيدر مدرسة بـ"غوجوارة" بسرينغار قريباً من المسجد الجامع الحالي و كانت تبعد عن "دار الشفا" بنصف كيلومتر. يقال إنها لعبت دوراً هاماً في محو الأمية في كشمير و خرّجت علماء و باحثين كثيرين.

**دار العلوم خواجه بازار:**

أنشأ الخواجه خواند النقشبندي الصوفي المعروف في الهند بعلمه و معرفته و نفوذه في دولة السلطان أكبر، داراً للعلم في عهد شاه جهان بـ"خواجه بازار" بسرينغار، كان "الملاّ حقدار" البدخشاني رئيس المدرسين فيها، فاستمر شعب كشمير في الاستفادة منها إلى سنوات طوال حتى قُضي عليها فيما بعد و أمست ضحية السياسة الماكرة. يقال إنّ مؤسسها قد أقام "بآكره" فاحتشد الناس حوله يستفيدون من علمه و سلوكه و فقهه.

**مدرسة الصوفية:**

كـان السلطان دارا شكوه يتردد دوماً على المتصوفين لتلقّي السلوك و علم الـتـصوف منهم، و كان يكثر زيارة مربّيه الـجليل الروحي محمّد شاه البدخشاني، فـرأى أن يـبـنـى مـدرسـة يـتعلم فيها التلاميذ علم التصوف المنبثقة من القرآن و الـسـنّة، فـأقـامـهـا فـي حـضن جـبل يسمّيه أهل كشمير "بجشمه شاهى" ثم أصـابـتـهـا دائـرة الـزمن فانهدمت و لم يعد لها وجود، يسمّى هذا المكان بـ"برى محل" يعنون به قصر الحوريّات.

**مدرسة السيد منصور:**

من بـين تـلـك المدارس القديمة مدرسة السيد منصور التي أسّسها النواب عـنـايـت الـلّه خان حاكم كشمير عام ١١٢٥هـ، كانت الحكومة نفسها تشرف على إدارتـهـا، كـمـا كـان العالم الجليل "سليمان كلو" يرأسها، و كانت منطقة "وانى كـام" مـوقـوفة من قبل الدولة لإيراداتها و مصارفها، خرّجت علماء الفن و العلم الذين سار بذكرهم الركبان.

**مدرسة الملاّ كمال و جمال:**

يـنـسـبـهـا بـعـض الـمـؤرخين إلى هذين العالمين، و لكن الصحيح هو أن مـؤسس هذه الدار هو حسين خان ابن غازي خان ثاني سلاطين "جك" تولّى ادارة الـدولـة من عـام ١٥٦٣م إلـى عـام ١٥٧٠م، و أقـام مـعـهـا رواقـاً للطلبة و الضيوف و الـعـلـمـاء و كـفـلـهـا بـنـفـسه، كان رئيس المدرّسين الشيخ فتح اللّه الحقاني و مـسـاعـده أخـونـد الـشـيـخ الـدرويش، يقال إن فتح اللّه كان عالماً سنيّا كبيراً و يـتعصب لأهل السنة. دبّر شمس الدين العراقي الشيعي مؤامرة ضدّ هذا العالم لـقـتـله بالتواطؤ مع بعض الوزراء الشيعيين و لكنه لم ينجح إلاّ أن فتح اللّه قد

اضطر إلى الفرار إلى سيالكوت تاركاً مدرسته وراءه لصهرين له عالمين الملاّ كمال الدين و جمال الدين، يقال إن أولهما كان أستاذاً لمجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي. فهذان العالمان هما اللّذان أشرفا على هذه الدّار التي خرّجت علماء و باحثين كان من بينهم القاضي عبد القاسم و الشيخ اسماعيل الجستي، و البابا نصيب الدين الغازي.

**مدرسة الملاّ رضي:**

الملاّ رضي كان من كبار علماء كشمير كان له دويّ في عهد شاه مير كما نال صيتاً في عهد"جك" يكفي له فضلاً بأن الشيخ يعقوب الصرفي المفسّر و المحدّث استاذ الشيخ أحمد السرهندي و المحدّث شمس الدين بالى و العلاّمة بابا داؤد الخاكى كانوا من تلاميذه، كان أستاذا في دار العلوم للسلطان قطب الدين، فلما دارت دائرة الزمان و وقعت كشمير في فوضوية سياسية و ازمة اقتصادية جعل الملاّ رضي بيته مدرسة و بدأ التلاميذ يتردّدون إليه ليل نهار لإرتواء غليلهم العلمي.

**مدرسة الحافظ بصير:**

أضحى الحافظ بصير حديث المجالس و المحافل في عهد "جك" لبصيرته العلمية إن لم يكن يبصر لانه وُلد مكفوفا، فأمسى هؤلاء الأساطين الثلاثة الشيخ يعقوب الصرفي و بابا داؤد الخاكى و شمس الدين بال يغترفون من نبع علمه مع أنه كان يميل إلى التشيّع إلاّ أنه لم يكن يعلن عقيدته، فلما بيّن مسئلة اكتفى بالقول بأن للشيعة فيها كلام، غادروا مدرسته فلم يعودوا إليه بعد. بالرغم من هذا ترى يعقوب الصرفي يمطر الثناء عليه.

هذه هي بعض المدارس و الجامعات و الكليات التي تأسست و ترعرعت و شبّت في عهد السلاطين و رعايتهم بيد اننا قد اطّلعنا من قبل على أن مساحة

كشمير لا تعدو ٨٥ ميلاً طولاً و ٢٥ ميلاً عرضاً على الاكثر، فيبدو أن كشمير كانت قد أصبحت جامعة و داراً للعلم و العرفان.

هذا، و إذا أمعنا النظر في قسم المخطوطات العربية لدولة جامون و كشمير و قسم (الآثار) بسرينغار و مخطوطات المجمع الثقافي للفن و اللغات في جامون و كشمير أدركنا توّاً أن ثمانين في الماة منها قد ألّفت و دوّنت في قرون ثلاثة متتالية و هي الثامن و التاسع و العاشر ثم يلي في كثرة المخطوطات القرنان الحادي عشر و الثاني عشر.

هذه المخطوطات بأجمعها غيض من فيض و قليل من كثير وافر من تلك المؤلفات التي أصيبت بالحرق بأيدى المحتلّين و المدبّرين للمؤامرات بعد عهد السلاطين، نضيف هنا ما ذكر "الصوفي" صاحب كتاب "الثقافة الإسلامية في كشمير" في الإنجليزية يقول مترجماً:

"إنّ حبّ أهل كشمير بالكتب يقوم على دليل قاطع، فإنهم مارسوا الكتابة و التأليف الغير الرسمي، و لكن مع الأسف الشديد أن تلك الحسنات قد بيعت خارج كشمير و وجدت طريقها إلى أوربا و أمريكا".

هذا ملخّص تأريخ المدارس القديمة في كشمير التي أمست خبر كان، فلا يعثر أيّ باحث على رسوم هذه المدارس التي كانت منارات للعلم.

ديار من بنى الحسحاس قفـــــر      تعفّيها الروامس و السمـــــاء

و كانت لا يزال بهـــــا أنيس      خلال مروجهـــــا نعم و شاه

## المراجع


١ - ثقافة الهند دسيمبر ١٩٥٥م.

٢ - تاريخ حسن الجزء الأول لمؤلفه غلام حسن الكهيوهامى طبعه المجمع الثقافي عام ١٩٥٤م

٣ - تأريخ كشمير و جغرافيتها لباندت هركوبال خسته طبع عام ١٩٨٦م بسرينغار.

٤ - فتوح البلدان لأبي العباس أحمد البلاذري طبعه دار النشر عام ١٩٥٨م

٥ - تأريخ إسلام لمولانا أكبر شاه خان النجيب آبادي الجزء الثاني ازاد برنتنك بريس ديوبند

٦ - كشمير مين عربي علوم اور اسلامى ثقافت كي اشاعت للدكتور محمد فاروق البخاري نيو كشمير بريس ١٩٨٧

٧ - رود كوثر محمد إكرام ناهيد بريس دلهي ١٩٩١م

٨ - السيد مير على الهمداني د/ السيدة أشرف لاهوتى برنت ايدز عام ١٩٨٧م

٩ - Kingdom of Kashmir By M.L. Kapoor. Pub. by Kashmir History Publication Jammu 1983.

١٠ - Geography of Jammu and Kashmir State by P.A. Kaul life and light publications 1925 New Delhi.

١١ - They happy valley Sketches of Kashmir and of Kashmries by: W.Wakefeild London 1879.

١٢ - Geography of Kashmir by M. Maqbook Raja Bano pub. by. Ariona Publishing House New Deh· 1984.

١٣ـ Ancent geography of Kashmir by M.A. Stier 1977 Asaitie Society, Calcutta

١٤ـ Encyclopaedia Britanica (New) Vol. 6. 15th edition pub. in London 1994.

# مساهمة الطاف حسين حالى
# في النقد الأردوي

بقلم: شفيع أحمد هاشم*

اللغة الأردية لغة هندية محلية نشأت وتطورت بسبب الاحتكاك السياسي والاجتماعي و العرقي و اللغوي الذي قد تم بين المواطنين الهنود و المسلمين الذين توافدوا على شبه القارة الهندية لنشر الإسلام و إقامة العلاقات التجارية، و حسب ما جاء في أكثر اللغات و المعاجم أن كلمة "أردو" استخدمت في القرن الثامن عشر الميلادي وقبل هذه الفترة كانت هذه اللغة معروفة باسم "الهندي" أو "الهندوي" أو "ريختة" أو "اللغة الدهلوية" أو "أردو معلى" أو "دكني" أو "هندوستاني" وفي الحقيقة أن كلمة "أردو" ماخوذة من التركية و معناها "العسكر أو المعسكر"(١).

قد تأثرت اللغة الأردية باللغتين الفارسية و العربية أكثر من أية لغة أخرى إلا أن بنيتها و هيئتها قائمة على الفارسية إلى حد أكبر لأن معظم الدعاة الذين جاءوا إلى الهند كانوا ينتمون إلى البلدان الفارسية و آسيا الوسطى فاختار هؤلاء و الأساليب الفارسية.

---

*مركز الدراسات العربية و الافريقية جامعة جواهرلال نهرو - نيو دلهي

## النقد الأردوي قبل "مقدمة شعر و شاعري:

لـم تـكن فـي الأرديـة أصـول الـنـقـد و قواعده مكتوبة بصورة منسقة قبل "مقدمة شعر وشاعري" و على أية حال، فنلاحظ أول بواكير النقد في الأردية في أبـيـات القدامى و على سبيل المثال نجد في شعر ملا وجهى بعض النماذج للنقد وبـوجـه خـاص فـي قـصيدته المعرو فة بـ "قطب مشتري" التي نظمها في عام ١٦٠٩ م فهو يقول:(٢)

جو بےربط بولے تو بيتـــاں پچيس — بهلاهی جـــو يك بيت بولی سليس

سلاست نهين جـــس كری بات ميں — بريا جایٔ كـــيوں جز ليكر هات ميں

جسے بات كی ربـــط كـــافام نيں — اسی شعر كـهنی سون كچهـ كام نيں

نكو كر تو كـــئی بولنے كا هـــوس — اگرخوب بـــولے تـــو يك بيـت بس

اسی لفظ كون شـعر مين لیایٔ توں — كه ليا يا هی اوستاد جـس لفظ لوں

اگر فام هـــی شـعر كا تجـــهـ كو — نی لفظ ليا هـــور مـــعنی بلند

و ملخص ماجاء فيها كالآتي:

١ - ينبغي أن يكون الكلام سلسا ومربوطا.

٢ ـ قرض بيت و احد أحسن بكثير من قرض أبيات عديدة خالية عن المعنى و غير مربوطة.

٣ ـ يجب على الشاعر أن يتبع أساتذته في اللغة و البيان و الأسلوب.

٤ ـ يزداد حسن الشعر الجيد بالنظم و التركيب.

٥ ـ إذا كنت ترغب في قرض الشعر فعليك استخدام الكلمات المختارة و المعاني السامية و المبتكرة.

يتبلور من السطور المذكورة أن أسسا و أحكاما نقدية في اللغة الأردية كانت موجودة لتمييز الشعر بين حسنه و قبحه و إلى جانب الأحكام النقدية المذكورة كان بعض شعراء المراثي في منطقة "دكن" يهتمون بإثارة العاطفة و الوجدان. و هكذا كانوا يضيفون التأثير إلى مراثيهم بحيث كانت القلوب تنشق و الدموع تنهمر بشدة الحزن و الكآبة فمثلا يقول شاعر الرثا الشهير أكبري أن رثائي تفتح أبواب صدور الناس و ينظم لآلى الدموع ليلا و نهارا و عندما تجرى الدموع أتأسف كثيرا(٣).

| | |
|---|---|
| أكبرى جب مرثيه بولے | سب سينى كى كيواريان كهولى |
| گوهر اشك رات دن رولى | جب سون جارى هونين افسوس |

ولما نشأت و راجت سوق الشعر الأردوي في أقاليم الهند الشمالية فتأثرت كثيرا باللغة الفارسية لأن هذه اللغة كانت حينذاك لغة رسمية ولغة البلاط الملكي فانتقى شعراء الأردية التشبيهات و الاستعارات الفارسية وسلكوا في أكثر الأحيان مسلك شعراء الفارسية واتبعوا أساليبهم الشعرية في قصائدهم كما جعلوا يقيسون أبياتهم بمقاييس الفارسية، حتى أن بعض الشعراء الهنود الذين قرضوا أبياتافي اللغة العربية قد استخدموا البحور الفارسية لقصائدهم وبالغوا في استخدام التشبيهات و الاستعارات الفارسية ومن بين هؤلاء الشعراء السيد غلام علي آزاد البلغرامي وفيض الحسن السهارنفوري و الشاه ولي الله الدهلوي وأمثالهم كثيرون.(٤)

و ألقى الشعراء المتقدمون الضوء على بعض الأصول و المبادي النقدية في مقدمة دواوينهم الشعرية منهم الشاعر الأردوي فائز الدهلوي الذي كتب مقدمة لديوانه في الفارسية، نلخص منها فيما يلي بعض الأصول النقدية المتعلقة بالشعر والشعراء:

١ - ينبغي أن يكون الشاعر ميالا إلى التجديد و التحديث.

٢ - لابد أن يكون الشعر خاليا من الحشو و الزوائد مع مراعاة القوافي الصحيحة.

٣ - يجب اتباع الأساتذة القدماء والإطلاع على أحوالهم الشخصية والأدب.

٤ - ينبغى أن تكون الكلمات عذبة سانجة وأن تكون العبارة سلسلة و واضحة.

٥ - ينبغي أن يكون الشعر خاليامن الكلمات التي يعتبرها الذوق ركيكة ومبتذلة.

٦ - يجب ألا تستخدم التشبيهات البعيدة و الكنايات والتعابير العويصة بحيث تكون غير واضحة.

و علاوة على ذلك صاغ الشاعر الكبير فائز الدهلوي عدة أصول نقدية متعلقة بقرض القصائد.

١ - أن يكون التطابق بين المدح والممدوح.

٢ - تستخدم الكلمات المناسبة.

٣ - أن تكون الصفات جيدة المعنى.

٤ - يجب الاهتمام بأساليب اللغة و البيان و يعرض الشاعر غرضه في أسلوب متين.(٥)

ونجد الإشارة هنا إلى أن القواعد والأصول المذكورة في مقدمة فائز الدهلوي هي في الحقيقة مأخوذة من الفارسية وقد اعتمد عليها فائز الدهلوي

عند قرض الأبيات ونظم القصائد. وبعدئذ برز الشاعر الكبير شاه حاتم على ساحة الشعر والأدب مع حركة أدبية إصلاحية وكتب بعض الأصول النقدية في مقدمته "ديوان زاده" وحاول أن يقرض الأبيات في الأساليب الفارسية وجعل له شعراء الفارسية من أمثال خاقانى وأنوري وسعدي وحافظ ونظيري قدوة وأسوة.

وكتب مرزامحمد رفيع سودا كتابين قيمين في النقد وأصوله أولهما "عبرة الغافلين" و الثاني "سبيل الهداية" و لو أن هذين الكتابين مبنيان على أصول النقد الفارسي إلا أن ملامح النقد الأردوي ومقاييس الشعر الأردوي الرائجة في ذلك العنصر تتبلور منهما.

وبعد ذلك أحرز النقد الأردوي تقدما بحيث بدأت لأول مرة كتابة تراجم شعراء الأردية تقليدا للمنهج الفارسي وسميت باسم "تذكرة" في اللغة الأردية، نذكر هنابعض التراجم الشهيرة حسب تاريخ تأليفها:

"نكات الشعراء" (رموز الشعراء) ١١٦٥ هـ - ١٧٥٠م للشاعر العظيم ميرتقى مير، "مخزن نكات" (خزانة الرموز) عام ١١٦٨ هـ للشاعر الكبير محمد قيام الدين قائم، "چمنستان شعراء" (حديقة الشعراء) عام ١١٧٥هـ للشاعر لكشمى نرائن شفيق "تذكرة شعراء أردو" (تراجم شعراء الأردو)عام ٩٧ - ١١٨٨ هـ للشاعر مير حسن، "تذكرة شورش" (ترجمة شورش) عام ١١٩٣ هـ ورياض الفصحاء عام ١٢٣٦م للشاعر الكبير مصحفى، "گلشن هند" (حديقة الهند) عام ١٢١٥هـ للشاعر مرزالطف علي "دريائے لطافت" عام ١٢٢٣ هـ للشاعر إنشاء الله خان إنشاء و "طبقات شعراء هند" عام ١٢٦٣ هـ لفيلن وكريم الدين.(٦)

ليس بوسعنا أن نتحدث هنا على حدة عن جميع التراجم المذكورة أعلاه و على أية حال في حين ندرس هذه التراجم فنجدها متصفة بسبع صفات

وتفاصيلها كمايلي:

١ ـ جمع أحوال الشعراء الكبار وأبرز أبياتهم جيد المعاني والأساليب.

٢ ـ جمع ذكر جميع الشعراء الجديرين بالذكر والثناء.

٣ ـ أختيار الكلام الجيد لجميع الشعراء.

٤ ـ تقسيم الشعراء إلى عدة طبقات.

٥ ـ جمع التراجم التي تتحدث عن عصر خاص.

٦ ـ جمع التراجم التي تمثل جماعة أدبية أو قومية.

٧ ـ نقد و تصحيح الأبيات. (٧)

كان لهذه التراجم دور كبير في تطوير نقدالأردو القديم وفي معظم الاحيان نلاحظ مماثلة كبيرة بين تراجم الأردو و تراجم العربية و نشاهد فيها بعض البواكير للنقد الادبي وأصوله آنذاك و من أهم تلك التراجم دقة ودلالة على الأسس النقدية هي كتاب "نكات الشعراء" و هو أول كتاب في تراجم الشعراء في اللغة الأردية قام بتأليفها الشاعر الكبير ميرتقى مير باللغة الفارسية على منهج التراجم الفارسية التقليدي وذلك في عام ١٧٥٠م ومهد طريقا جديدا وكتب مقاييس و معاير لنقد الشعر و لخص البروفيسور نورالحسن النقوي أفكار مير النقدية قائلاً:

"شاعری محض گل و بلبل کا بیان نهین هے اس کے سوا بهی بهت کچھ هے، شاعرکو فکرتازه کے پهلو به پهلو لطف زبان کا بهی خیال رکهنا چاهئے اور الفاظ کے انتخاب مین احتیاط سے کام لینا چاهئے، صفائی بیان اور الفاظ و محاورات

كـى صـحـت كـا خيال ضروری هے، فصاحت و بلاغت كے أصول كسى صورت میں نظر انداز نه هو نےچاهئیں(٨)

إن الـشـعـر ليس مجرد ذكر للزهر و البلبل، بل هو شئ آخر فضلا عن ذلك، فينبغى للشاعرأن يراعى أيضا رقة اللغة إلى جانب الفكر المبتكر و يسلك مسلك الـحـذر في انتقاء الكلمات ومن الضروري ولابد للشاعر أن يعتني بصحة الألفاظ و الأمـثـال و بـوضـوح البيان، وفي أي حال من الأحوال لايجوز التغاضي عن أصول الفصاحة والبلاغة.)

و لـو أن صـاحـب الـتـذكـرة وهو ميرتقى مير قد وجه نقدا لاذعا إلى بعض الـشـعـراء الـكـبار إلى حد التطرف والتعصب إلا أن تذكرته تحتل مكانة مرموقة و يـحـتـاج إليها. الباحثون في تدوين تاريخ النقد الأردوي. فأصبحت نمونجا رائعا للنقاد و الشعراء المتأخرين.

ومن بين التراجم الأخرى الهامة كتاب "مخزن نكات" الذي و ضعه الشاعر الـكـبير محمد قيام الدين قائم في عام ١١٦٨ هـ متأثراً "بنكات الشعراء" و حظى هـذا الـكـتـاب بالشهرة و التداول لسببين كبيرين: أولهما أن صاحب الكتاب دافع عن شـعـراء دكن و عـارض فكرة ميرتقي مير التي تتلخص فى أن قصائد شعراء دكن غـيـر مربوطة. و الثاني أن قد قسم شعراء دكن إلى ثلاث طبقات وأبرز ميزة عصر كل الطبقات.

ومن الـتـراجم الهامة الأخرى تذكرة شعراء أردو "التي ألفها مير حسن في عـام ١٧٧٧م و التي ضمنها معلومات جديدة عن الشعراء وتوجد فيها أيضا ملامح و شـروح نـقـديـة، و تـزخـر هـذه الـتـذكـرة بالعبارات المنمقة مع غاية الاهتمام بميزات وخصائص أبيات الشعراء.

ازدهـرت وتـطـورت الـلـغـة الأرديـة تدريجيا حتى خرجت من إطار البلاط الـمـلكي فجعل الناس يستخدمونها في محادثاتهم اليومية وفي هذه الحقبة من الـزمن بـرز كـثـيـر من الـشعراء على ساحة الأدب الأردوي من أمثال حاتم وسودا ومـيـر و درد و انـشـاء وآتـش وأخـيرا قام الشاعر اللغوي الكبير مصحفي بامعان الـنـظـر فـي تـاريخ اللغة الأردية وخصائصها وملامحها البارزة وتعرف بدقة على أحـوال رجالها وشعرائها وألف ثلاثة كتب بالفارسية تمشيا مع تقاليد عصره وهي "تـذكـرة هند" و "رياض الفصحاء" و "عقد ثريا"، ومن الجدير بالذكر أن أسلوب هـذه الـكتب الثلاثة يتسم بالسلامة والعذوبة والمرونة. و فيها أبدى المؤلف آراءه الـسـديـدة عن الـشـعـراء الـكبار وحاول تعيين مكانتهم الادبية، كما تناول بعض أشـعـارهـم بـالنقد. بمنتهى التوازن والإعتدال ونظرا لهذه الحقيقة اعترف النقاد الـمـتـقـدمون بعلو شأنه في مجال النقد بحيث يقول الناقد الكبير مسيح الزمان عن مواهب مصحفى النقدية.

"وہ کـسـی شـخـصـیت سے مرعوب نهین هوتے مسلم الثبوت استادوں کی شـان میں قـصـیـده نهیں لکھتے بـلـکـه ان کاصحیح مرتبه سمجھنے اور بتانے کی کوشش کرتے هیں معاصرین کے کلام پر غیرجانبداری سے نظر ڈالتے هیں، دوست کـی بـرائـی یـامـخـالـف کـی تحسین کرنے میں نجی تعلقات کاخیال نهیں کرتے، شـاگردوں کـی صـلاحـیـت پهچانتے هیں اور ان کـی دوربین نظر ذروں میں آفتاب بننے کـی صـلاحـیت تاڑ لیتی هے ان تنکروں میں معاصرین اور متأخرین کے کلام پرخـاص تـوجـه اور تـجزیه کےساتھ رائے دی گئی هے وہ انهیں تنکروں کی روایتي خـصوصیات سے علاحده کرتے هیں اورپڑ هنے والے کو جگه جگه تنقیدی تصنیف کامزه ملتاهے".(٩).

(إنه لم يكن يرعب بشخصية ما و لم يكن ينظم في مدح فحول الشعراء بل كـان يـحـاول فـهـم مـراتبهم وتعيين مكانتهم و كان يلقى نظرة الحياد على كلام

المعاصرين ولم يكن يراعي بعلاقته الشخصية عند ذكر مساوي صديقه أو ذكر محاسن عدوه وكان يتفرس فى مواهب تلامذته و كانت نظرته بعيدة المدى فكان يدرك ميزة الشمس فى ذرة، وفي هذه التراجم أنه قد أبدى رأيه حول شعر المعاصرين والمتأخرين باهتمام وتحليل، وهذه الميزة تجعل تراجمه منفردة عن التراجم التقليدية بحيث يتذوق القارى بحلاوة النقد الممتاز).

و من تراجم المتأخرين الأخرى كتاب "گلشن بى خار" (حديقة بلا أشواك) الذي ألفه مصطفى خان شيفته، و يوفر هذا الكتاب معلومات قيمة عن أحوال الشعراء وكلامهم ويمهد مجالا واسعا للنقد أمام الجيل القادم وقد فضل شيفته الأبيات الغزلية للشاعر مير على قصائده المدحية وأشاد بمصحفى لانتخاب الأبيات الجيدة وقد اعترف الشاعر الفذ مرزا أسد الله خان غالب بمواهب شيفته النقدية قائلا:

"إن لم يستحسن مصطفى خان شيفته بيتا من أبياتي فلن أذكره في ديواني".(١٠)

مهما يكن الأمر فإن تذكرة "غلشن بى خار" يدل على علو كعبه ومرتبته في مجال النقد و الإنتقاد.

قد ذكرنا هذه التراجم الشهيرة بالإيجاز وحاولنا حسب وسعنا تقييم وتقدير قيمتها النقدية و بغض النظر عن هذه التراجم نجد بعض ملامح النقد في إصلاحات الشعراء الكبار لأبيات الشعراء المبتدئين.

فهؤلاء الشعراء الممتازون كانوا يقومون بتصحيح الأبيات في ضوء المعايير والمقاييس الشعرية المتبعة الرائجة وأخص بالذكر من هؤلاء الأساتذة الكبار سودا و ميرحسن ومصحفي وإنشاء وغالب و ذوق و آتش و ناسخ وأنيس.

هـذا ونـلاحـظ بعض بواكير النقد من خلال المساجلات الشعرية التي كان ينشد فيها الشعراء قصائدهم أمام الجماهير فكان هؤلاء الشعراء يتبادلون الآراء حـول الـشـعـر والـنـقـد والأدب كما كانوا يطرحون أفكارهم في هذا الخصوص. وهـكـذا نـجـد بعض بذور النقد في تقاريظ الكتب والدواوين التي كانت تكتب في مـسـتـهـل الـكـتـاب كـمقدمة له و على سبيل المثال نذكر هنا تقريظ غالب على الـمـثنوى لمرزا حاتم على بيغ مهر، ومن العجيب أن هذه التقاريظ لم تنل عناية كـبيرة لدى النقاد والباحثين. ولعل السبب في هذا الشأن هو تركيز هذه التقاريظ عـلـى مـدح الـكـتـب وأصـحـابـهـا وأخـيـرا لابد لي أن أشير إلى أن هذه المناهج والـمـقـايـيـس و الـتـقاليد للنقد الأردوي كانت متبعة قبل أن يؤلف الشيخ ألطاف حسين حالي كتابه الشهير "مقدمه شعر و شاعرى".

**النقد الأردوي في عهد ألطاف حسين حالي :**

يـعد عهد ألطاف حسين حالي (١٨٣٧ - ١٩١٤) في تاريخ الهند الجديد بمثابة نـقـطـة التحول والانقلاب و بالرغم من أن ثورة ١٨٥٧م كانت ثورة سياسية إلا أنها تـركـت بـصـمـات عميقة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بأسرها ومن الـمـلاحـظ أن الـمـواطـنين الهنود كانوا يئنون تحت نير الاستعمار الغاشم فـهـذه الأوضـاع الـمـتـدهـورة أجـبـرتـهـم على التفكير في شئون أمتهم لصيانة حـرمـاتـهـم ومـمـتـلاكـتـهم ولاصلاح أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وفي هذا الـسـيـاق نـهـض عـديـد من كبار الأمة لتحسين الظروف التعليمية والاجتماعية والاقـتـصـاديـة ونخص بالذكر هنا المصلح الكبير سر سيد أحمد خان الذي لعب دورا فـعالا في إصلاح أحوال المسلمين التعليمية والأخلاقية ولأجل ذلك يعد رائد النهضة التعليمية في تاريخ الهند الجديد.

واخـتـار سر سيد أحمد خان منهجا جديدا في مجالات التعليم والتعلم، وقد نفخت علميته هذه روحـــا جديدة في اللغة الأردية وله إسهام كبير في إنعاش

وتطوير الأدب الأردوي فاصدر سر سيد أحمد خان مجلة "تهذيب الأخلاق" في قالب جديد وأسلوب سلس واضح بعيد عن السجع والقافية والتراكيب المنمقة والكلمات العويصة فمحاولته هذه تعتبر مرحلة جديدة في تاريخ النقد الأردوي ولكن من المؤسف جدا أن سر سيد أحمد خان لم يجد فرصة لوضع آراءه النقدية في قالب الكتاب وذلك لكثرة انشغاله بالشؤون الإصلاحية للمسلمين وبعد السيد أحمد خان برز على ساحة الأدب الأردوي كل من محمد حسين آزاد والطاف حسين حالي وشبلي النعماني وأحرزوا قصب السبق في مجال النقد والأدب ومن الجدير بالذكر أن ألطاف حسين حالي تأثر كثيرا بآراء سرسيد أحمد خان العلمية وأفكاره الأدبية وبذل كل الجهد لنشر هذه الآراء والأفكار في اللغة الأردية حتى أصبح رائد النقد الأردوي الحديث.

ومن المؤكد تاريخيا أن محمد حسين آزاد هو أول من أبدى آراءه النقدية المتصفة بالجدة والابتكار وألقى أول محاضرة حول النقد الأردوي في المساجلة الشعرية قامت بعقدها جمعية "البنجاب" في عام ١٨٦٧م وكان عنوان محاضرته "آراء عن النظم والكلام المنسق" (١١)، و بعد محمد حسين آزاد جاء دور كل من العلامة حالي وشبلي النعماني فألف حالي كتابه الشهير "مقدمة شعر وشاعري" في عام ١٨٩٣م (١٢)، كما دون العلامة شبلي النعماني موسوعته الأدبية النقدية الكبيرة "شعر العجم" في عام ١٩١٢م (١٣).

والحقيقة أن كتاب "آب حيات" الذي ألفه محمد حسين آزاد يعد همزة الوصل بين تراجم الأردية و "مقدمة شعرو شاعري".

كان محمد حسين آزاد معاصرا للسيد أحمد خان و حالي وشبلي وكان متأثرا للغاية ببعض المؤثرات الغربية والنزعات الحديثة وتتبلور هذه الحقيقة

من معظم آثاره الأدبية الرائعة وقد حاول آزاد أن يتجاوب مع متطلبات عصره وتحقيقا لهذا الهدف أسس جمعية البنجاب الأدبية بمساعدة الرائد "هالرائد" واللواء "فلر". وقام بعقد عدة مساجلات شعرية عن طريق الجمعية المذكورة وقدم فيها أمام الحضور بعض قصائده المتسمة بالحداثة والابتكار وقد أشاد السيد أحمد خان بما قام به آزاد من المحاولات الأدبية الممتازة.

ومن مؤلفات آزاد الأدبية الفنية كتابه الشهير "آب حيات" الذي قام بطبعه في عام ١٨٨٠م وماعدا هذا الكتاب ألف آزاد "مقدمة ديوان ذوق" و "سخن دان فارس" وبالرغم من أن هذه الكتب ليست كتبا نقدية مستقلة إلا ونستنشف من خلالها آراء آزاد النقدية وفي الحقيقة لم يؤلف آزاد كتابا نقديا مستقلا ماسوى المحاضرة التي ألقاها في حفلة جمعية بنجاب، وهذه المحاضرة كانت مبنية على بعض الأصول للنقد، وأما آراء آزاد النقدية الأخرى فنجدها منتشرة في مختلف كتبه ومقالاته وتجدر الإشارة هنا إلى أن نقد آزاد كان مزيجا من النقد الغربي والشرقي ومن هنا نلاحظ أن آراءه النقدية تتعارض وتتضارب في أكثر الأحيان، فحينا هو يميل إلى النقد الغربي وفي حين آخر إلى النقد العربي و الفارسي وعلى سبيل المثال نشاهد اختلافا كبيرافي نظرياته المتعلقة بالشعر والشاعرية فهو يقول أن الشعر وهبي وإلهامي وليس وليدة البيئة والظروف لأنه يستمد من موهبة سماوية وقد أبدى آزاد رأيه عن الشعرقائلاً:

"شعر ايك پرتو روح القدس كا اور فيضان رحمت الهي كاهے كه اهل دل كى طبيعت پر نزول كرتا هے، يهى سبب هے كه ظاهرابنى كلبئه احزان ميں پڑا رهتا هے مگر تمام عالم ميں اس طرح حكومت كرتا هى جيسے كوئى صاحب خانه اپنے گهر ميں پهرتا هے" (١٤).

(إن الشعر ظل روح القدس وموهبة إلهية و ينزل على طبائع أهل القلوب ولهذا السبب يعيش في كنف الأحزان إلا أنه يتصرف في العالم كله كمايتصرف صاحب منزل في بيئته).

وفي نظره الشعر مجموعة من الأفكار الإلهامية ومما لاشك فيه أن نظريته هذه مبنية على أصول النقد الشرقي وفي موضع آخر يقول آزاد أن في الشعر قدرة على تغيير مصير الشعوب والممالك و بهذا الرأي القيم ابرز آزاد أهمية الشعر والشعراء كما أكد على قيم الجمال والشعور والوجدان و في موضع آخر يقول إن الشعر له صلة قوية بالمجتمع الإنساني بحيث يتغير الشعر بتغير الظروف الاجتماعية وقد اشار إلى هذه النقطة قائلا:

"هر ايك انشاء پردازى اپنے ملك، سر زمين، آب و هوا اور پيداوار بلكه اس كى جغرافيه كو آئينه دكهاتى هے كيو نكه وه چيزيں انشاء پرداز كو آس پاس نظر آتى هيں، انهيں كو وه ادائے مطلب كے سامان ميں خرچ كرتاهے" (١٥).

(في كل قطعة أدبية تعكس صورة بلادها وأرضها وبيئتها وإنتاجاتها حتى جغرافيتها لأن كل ما يراه الكاتب حوله يستخدمه لإظهار مطالبه).

وكان بعض آراء آزاد النقدية مقتبسا من الآداب العربية كما أنه استفاد أيضا من آراء السيد أحمد خان النقدية وفي النهاية يمكن لنا القول بأنه لا يوجد في نظرياته النقدية وئام و تطابق وذلك لأنه لم يتحدث عن أصول النقد معتمدا على المنطق والفكر و الفلسفة ومهما يكن الأمر فقد تأثرت آراء آزاد النقدية إلى حد كبير بحالي وشبلي. و يوجد في كتابي آزاد "آب حيات" و "سخن دان فارس" بعض النماذج للنقد التطبيقي و على أية حال فإنه يتبين من دراسة هذين الكتابين أن آزاد لا يتمسك بوجه عام مناهجه النقدية بشدة إذ أنه يستخدمها حينا و يتركها حينا آخر و فضلا عن ذلك أنه يبدي رأيه عن بعض الشعراء

الـصغار بمنتهى الإيجاز و لذا لاتتضح صورة هؤلاء الشعراء واضحة كاملة إلا أنه قـد تـحـدث بـقـدر من الـتـفـصيل عن الشعراء الكبار من أمثال مرزا رفيع سودا ومـيـر تقى مير و ذوق وقد استعرض الناقد الكبير كليم الدين أحمد مواهب آزاد النقدية كما يلي:

"آزاد ميں نـقد كا مطلق ماده نه تها، نظر مشرقى حدود ميں پابند تهى وه لكير كے فقير تهے، باريك بينى اور آزادئ خيال سے مبرا"(١٦).

(لـم تـكن فـي آزاد مـلـكـة الـنقد مطلقا و كان نظره محصورا في الـحدود الـشـرقـيـة و كـان يـعـض بالنواجذ على التقاليد البالية كما كان خاليا من الدقة وحرية الرأي).

صحيح أن رأى كليم الدين أحمد هذا لا يخلو من أثر التطرف والتعصب إلا أنه من الحقيقة أن نقد آزاد يكمن في طياته بعض النقائص و العيوب و أيا كان الأمـر فـإن آزاد كـان ذكـيـا قـديـرا على اللغة والبيان وكان له يد طولى في مـجال الـنـقـد كـمـا كـانت له مهارة تامة في كتابة النثر إذا كان يكتب نثرا سلسا عذبا يأخذ القلوب والأرواح.

يـعـد الـعـلامـة شـبـلـي الـنـعماني من بين النقاد الكبار في عصر النهضة الـحـديـثة و هو يحتل مكانة عالية في مجال النقد الأردوي إذ أنه لعب دورا بارزا فـي تـطـويـر الـلـغـة الأردية وازدهارها واستفاد من المصادر العربية والفارسية الـشـامـلـة مـوضـوع الـنـقـد والانتقاد، وفي ضوء هذه المصادر أنه وضع أصوله الـنـقدية وكان نقده أقرب إلى الرومانسية وتوجد فيه ملامح التاثر والجمال، كما يتبين من عبارته الآتية:

"يـهـى قـوت جـس كـو احساس اور انفعال سے تعبيركر سكتے هيں شاعرى كـادو سـرا نـام هے يـعنى يهى احساس جب الفاظ كا جامه پهن ليتا هے تو شعر بن جاتا هے" (١٧).

(إن هـذه الـقـوة الـتـي نـطـلـق عليها كلمة الحس والانفعال هي إسم آخر للشعر يعنى حينما يلبس هذا الحس لباس الألفاظ يصبح شعرا).

وقـد أكد شبلي النعماني تأكيدا شديدا على العاطفة والوجدان وقوة الحس والإدراك فـي الشعر، وفي رأيه الشعر لايخلو في أي حال من الأحوال من العاطفة والشعور وكان شبلي النعماني يعتقد بأن الشعر في الحقيقة أداة لإثارة العواطف والأحـاسـيـس و من هـنـا كانت عنده المحاكاة و التخيل عنصرين هامين للشعر و هو يلقى الضوء على حقيقة المحاكاة قائلا:

"هـو تـقـديم أو وضع شئ بحيث تسود صورته على العيون بشرط ان تكون هذه الصورة جذابة القلوب و خلابة المشاعر"(١٨).

وفي مكان آخر قد تحدث عن التخيل بقدر من التفصيل فهو يقول:

"شـاعر قوت تخيل سے تمام اشياء كو نهايت دقيق نظر سے ديكهتا هے و هر چيز كـى ايـك ايـك خاصيت ايك ايك وصف پر نظر ڈالتاهے ان كے مشترك او صاف كـو ڈهـو نڈ كر مقابله كرتا هے ان كے باهمى تعلقات پر كبهى اس كے برخلاف جو چيز يـكـسان اور متحد خيال كى جاتى هين ان كو زياده نكته سنجى كى نگاه سے ديكهتاهے اور ان مين فرق و امتياز كرتاهے "(١٩).

(الـشاعر بواسطة قوة تخيله يشاهد بدقة النظر الأشياء كلها ويلقي النظر عـلـى مـيزة و خاصية كل شئ على حدة و يبحث عن أوصاف تشترك بين كل منها لـيـقـوم بـالمقارنة فمابينها كما يربط سلسلة علاقات بعضها بالبعض وبالعكس أحـيانا يلقي نظرة غائرة على أشياء تعتبر موحدة ومتماثلة ويميز ويفرق بين كل منها).

ولا ريـب أن الـمحاكاة والتخيل عند شبلي النعماني جزءان أساسيان للشعر ولـكـنـه فـي نـفـس الـوقـت يصر على استخدام الوزن والخيال والألفاظ السلسة

ووضـوح الـبـيـان وقـد أثار العلامة شبلي أول مرة قضية اللفظ والمعنى و أوضح بـبـعـض كـتـابـاتـه أن الـلـفظ والمعنى كليهما عنصران رئيسيان للأدب والشعر ولتدعيم هذا الرأي نقل العبارة التالية من كتاب "العمدة" لابن رشيق:

"الـلـفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بـضـعـفـه ويقوي بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهـجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح كذلك إن ضعف المعني واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ولا تجد معنى يختل إلا من جـهـة الـلفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الـجـسـوم والأرواح فـإن اختل المعنى وقد بقى اللفظ مواتا لا فائدة فيه وإن كان حـسن الـطـلاوة فـي الـسـمـع كما أن الميت لم ينقص من شخصه شئ في رأى الـعـين إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائده، وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لانا لانجد روحافي غير الجسم البتة"(٢٠).

وبـعـد نـقل هذه العبارة لابن رشيق قدم واستعرض العلامة شبلي النعماني آراء بـعـض الـعـلـمـاء العرب حول اللفظ و المعنى فقال إن الجاحظ كان يعتنى بـالـلـفـظ اعـتناء كاملا لأن المعاني عنده مطروحة يستخدمها الأديب و السوقي حـسب مواهبه وبعد إلقاء الضوء على آراء الجاحظ النقدية أبدى شبلي النعماني رأيه حول هذه القضية وتوصل إلى نتيجة أن للفظ فضيلة على المعنى وفي هذا الصدد هو يقول:

"حـقـيـقت يه هے كه شاعرى يا انشاء پردازى كا مدار زياده تر الفاظ ميں هے گلستان ميں جـو مـضـامـين اور خـيـالات هيں ايسے اچهوتے اور نادر نهيں بلكه

الفاظ فصاحت اور ترتيب وتناسب نے ان ميں سحر پيدا كرديا ہے انهيں مضامين اور خيالات كو معمولى الفاظ ميں ادا كيا جائے تو سارا اثر جاتا رهے گا" (٢١).

(فـي الـحـقـيـقـة أن مدار الشعر والإنشاء في أغلب الأحيان على الكلمات فـالـمـواضـيـع والافكار التي جاءت في "غلستان" للشيخ سعدي الشيرازي ليست مـبـتـكـرة ولا بـديـعـة إلا أن فصاحة الكلمات وتنسيقها وترتيبها قد نفخت فيها سحرا وقوة ولو نقلت هذه المواد والمعاني بكلمات عادية ليذهب أثرها جميعا).

وتـجـدر الإشـارة هـنـا إلـى أن شبلي النعماني بعض الأحيان يتبع خطوات الـنـقـاد الـعـرب الـذين أكثر اهتماما بالمعاني والمو اضيع لانه يعتقد أن الاثر لا يتحقق إلا بالمعاني و بالرغم من هذه كله نلاحظ أن النعماني يؤكد على المبالغة فـي الـشـعر ويربط الشعر والأدب بمختلف النواحي للحياة بحيث يقول إن عرض الشعر هو كشف النقاب عن حقائق الحياة.

ومن الـمـلاحـظ أن شـبـلي النعماني قد استخدم النقد التطبيقي في أكثر مؤلفاته النقدية وتتبين هذه الحقيقة في أثناء مطالعة كتبه مثل "شعر العجم" و "مـوازنـة أنيس ودبير" وفي إبان متابعة مقالاته النقدية التي صدرت بعد وفاته تـحـت عـنـوان "مـقـالات شـبـلي" وفي ضوء ما كتبه شبلي النعماني من القواعد الـنـقـديـة فـي مـؤلـفـاته القيمة يمكن لنا القول أنه فاق أقرانه في مجال النقد والأدب و عـلـى الـرغم من هذا اتهمه بعض النقاد المحدثين بأنه لايعتنى اعتناء كـافـيا بالجوانب الاجتماعية للأدب و يركز جل اهتمامه على المحاسن الظاهرة لـلـشـعـر و الـحـقيقة في هذا الأمر تتلخص في أن نقده كان مزيجا من النقدين الشرقي و الغربي.

هو كان يهتم بالمعايير الشرقية للنقد أكثر من معايير النقد الغربية و بهذا يعد شبلي رائدا من رواد النقد الشرقي في الأدب الأردوي الحديث.

ومن الـنـقـاد الكبار الآخرين في عصر شبلي النعماني إمداد أثر الذي كتب "كـشـف الحقائق" المعروف بـ "بهارستان سخن" ولو أن هذا الكتاب يحتوي على قـضايا النقد والعرض إلا أن صاحبه لم يتحدث عن أصول النقد ومباديه بل أبدى فـيـه آراءه حـول الـفـنـون الأدبـية المـختلفة وبحث عن الشعر العربي و اليوناني و الإيطالي، واستعرض كلام شعراء الاردو، مع التعليقات عليه فهو يقول:

"إن الشعر صورة صادقة للوطن والقوم ويتأثر الشاعر بماحوله من الوقائع والأحـداث إن الأردية تتبع الشعر الفارسي ولكن متطلبات هذه البلاد تقتضي أن يختار الشعر الأردوي منهجا سنسكريتيا"(٢٢).

و قـد قـام إمـداد أثـر بـالـنـقـد و الـعـرض لشعر الأردية في ضوء الظروف الاجتماعية للهند وإيران، وفي معظم الأحيان حاول أن يتبع منهج حالي.

**حياة حالي وخدماته العلمية والأدبية:**

يـعـد الـشيخ الفاضل خواجه ألطاف حسين حالي بن ايزد بخش الأنصاري من العلماء الكبار الذين دوى صيتهم في داخل الهند وخارجها و كانت له يد طولى فـي مـجـال الـنـقد الأردوي الحديث إذ أنه اخترع أسلوبا جديدا في الشعر و النثر ومـهـد طريقا حديثا لكتابة السيرة وكانت له ثقافة واسعة ومهارة تامة في اللغة الـعـربـيـة و الـفارسية وآدابهما وفضلا عن ذلك إنه كانت قد تأثر كثيرا بالتيارات الحديثة للأدب الإنجليزي.

ولد حالي في عام ١٢٥٣ هـ ببلدة "باني بت" في أسرة كانت تعاني من ضنك الـمـعـيـشـة وبلدة "باني بت" تقع على بعد ثلاثة وخمسين ميلا من دلهي شمالا، و نـشـأ و ترعرع في ظروف قاسية وحفظ القرآن الكريم في أيام طفولته ثم تلقى مـبـادئ الـعلوم المتداولة آنذاك على يد إبراهيم حسين الأنصاري الباني بتي وقام

أخوه الأكبر بعقد قرانه في حين كان هو في السابع عشر من عمره فضاقت عليه الأرض بما رحبت أثر ذلك شد حالي رحاله متوجها إلى دلهي لتحصيل مزيد من العلوم والمعارف فقرأ في البداية على الشيخ نوازش على الدهلوي ولازم صحبته لمدة من الزمن ثم رجع إلى بلدته سنة ١٢٧٢هـ وتلقى بعض العلوم الدينية على كل من الشيخ قلندر علي والشيخ المحدث عبد الرحمن الأنصاري ومولوى محب الله و عندما لم يقنع بما حصل عليه من العلوم من الأساتذة المذكورين، عقد العزم على الرحلة إلى دلهي مرة أخرى لتحصيل مزيد من العلوم إلى جانب كسب الرزق لأن معيشته كانت معيشة ضنكة، وكان جميع أعضاء أسرته عيالا عليه.

وبعد وصوله إلى دلهي حضر بالتواظب المحافل الأدبية والأبيات الشعرية حتى طار صيته في الأوساط العلمية والأدبية فتبوأ لنفسه مقعدا عاليا بين أدباء و علماء عصره كما أتيح له فرصة أن يتقرب إلى نواب مصطفى خان الدهلوي فسافر معه إلى "جهانجير آباد" مؤظفا له، وتلمذ في الشعر على الشاعر الكبير أسد الله خان غالب و أصبح تلميذا محببا لديه و وقف حياته على قرض الأبيات والقصائد ومن جهانجير آباد شد رحاله متوجها إلى لاهور، وأقام بها لمدة قصيرة وبعدئذ رجع إلى دلهي واشتغل بمهنة التدريس و التعليم واستمر فيها حتى عام ١٢٠٩هـ في حين نجح في الحصول على منحة علمية من قبل الوزير آسمان جاه الحيدر آبادي و هذه المنحة منحت له فرصة كافية لتاليف الكتب وكتابة المقالات فاعتزل حالي في بيته وترك وظيفته التدريسية واشترك بكل حماس في حركة التعليم التي كان يتزعمها السيد أحمد خان.

كان حالي يكتب في مجلة "تهذيب الأخلاق" بغاية من الاهتمام والمواظبة وذلك متاثرا بآراء السيد أحمد خان السياسية والتعليمية التي

تتخلص في أن أحوال هذه الأمة لا تصلح إلا بما صلح بها أحوال أهل أوربا و من هنا كان حالي شدد على اتخاذ الثقافة الغربية للمواطنين الهنود فكان يحثهم على اتخاذ القيم الغربية واتباعها، و نظرا لظروف زمنه جاء حالي بمنهج وسط شامل اللونين الشرقي و الغربي كما مهد أسلوبا جديدا في مجال الشعر و النقد ولو أن نقده كان يهدف إلى إصلاح الأخلاق والعادات والتقاليد إلا أن له صلة قوية بالآداب والنقد (٢٣)، ولتحقيق هذا الهدف اختار حالي أسلوبا بسيطا سهلا خال من السجع و الصناعة و التكلف.

ولحالي درجة عالية في مضمار الشعر و النثر كليهما وقد خلف وراءه ثروة كبيرة في اللغة الأردية ولا ريب أن الشعر الأردوي مدين له بحيث وضع أصول الشعر وقواعده وعين حدودا و أطرا لقرض الأبيات.

وبدأ الأستاذ الطاف حسين حالي كتابة النثر في عام ١٨٦٧م و أصدر أول كتاب له في عام ١٢٧٤هـ باسم "مجالس النساء" و هذا الكتاب على غرار الرواية، و عرض فيه مشكلات التعليم للنساء، و عندما نال هذا الكتاب الشهير قبولا واسعا ألف كتبا جليلة أخرى أحرزت مكانة عليا في تاريخ اللغة الأردية وآدابها و أصبح رائد النقد الحديث في الأردية ومن بين هذه الكتب "مقدمة شعر شاعري" و "حياة سعدي" سيرة المصلح الكبير سعدي الشيرازي" و "يادكار غالب" في سيرة الشاعر الكبير الأستاذ أسد الله خان غالب، و "حياة جاويد" في سيرة السيد أحمد خان "وترياق السموم في الذب عن الملة الإسلامية والرد على المسيحيين" (٢٤) و "مناجاة بيوه" و "شكوه هند" وله أراجيز عديدة نالت شهرة و اسعة في الأوساط الأدبية. ومن أشهر مؤلفاته "المد و الجزر في الإسلام المعروف بـ "مسدس حالي" وهي ملحمة طويلة تلقاها الناس بالقبول و الإعجاب وأصبحت في أسرع وقت ممكن متداولة بين المسلمين حيث ضربت

بها الأمثال في البلاد. و قد ظهرت في طبعات لايمكن حصرها و حسابها وهي في الحقيقة ملحمة إسلامية دون فيها حالي الأحداث التاريخية المتعلقة بظهور الإسلام و فضله على الإنسانية و ذكر فيها البعثة المحمدية و رسم فيها أحوال الشخصية النبوية أيضا بأسلوب معجب للغاية و بعد ذكر صحابة الرسول و مالهم من أسبقية في إحياء العلوم و المعارف والقى الضوء على ما واجهه المسلمون في العصر الاخير من النكبات والنكسات كما صور المجتمع الإسلامي المعاصر تصويرا رائعا وفي الحقيقة إنه كان أشد الإعجاب بحكومة الإنجليز في الهند و قد أشار صاحب نزهة الخواطر إلى هذه الحقيقة قائلا:

"و يؤخذ عليه أن بالغ في الثناء على الحكومة الإنجليزية و عدلها وفضلها".(٢٥)

كان العلامة الطاف حسين حالي رقيق الشعور، مرهف الحس، سريع الانفعال، جيد القريحة في الشعر، له كعب عال في نقد الشعر وفي تمييز معرفة جيده من سقيمه قد درس الأدب الإنجليزي بواسطة الكتب المترجمة إلا أنه طالع الأدب العربي بدون وسيلة و أحسن الاقتباس من الأساليب العصرية في النقد و التاريخ و كان لطيف الذوق متضلعا مما أصيب به المسلمون من المشاكل و المتاعب و كان مبالغا في حب السيد أحمد خان و كان كريم الطبع متواضعا، دمث الأخلاق كثير الإنصاف مع معاصريه وقد منحت الحكومة الهندية آنذاك لقب "شمس العلماء" و انتقل إلى جوار رحمة ربه في ٣١ من ديسمبر عام ١٩١٤م.

**مقدمة شعرو شاعري ودراسته التحليلية:**

"مقدمة شعر و شاعرى" يعتبر أول كتاب نقدي في اللغة الأردية وهو بمثابة اللبنة الأولى لأسس النقد الأردوي الحديث ويحتل مكانة مرموقة في النقد

الأردوي الـحـديـث وكـان الـنـقـد قـبـل حـالـي مقتصرا على صـحـة اللغة و البيان و لـطـائـف الـذوق الـتـقـليدي، فهو أول ناقد قد درس النقد الأردوي بدقة في ضوء الـنقد الغربي و العربي و اقتبس و استفاد من معاييرهما النقدية و عرضها بشرح بـسط في "مقدمة شعروشاعرى" وقد نال هذا الكتاب في زمن حالي وبعده درجة دستور النقد الأردوي الجديد.

العلامة حالي كان يريد أن يكتب مقالا بسيطا علميا حول الشعر و أصو له فـبـدأ جـمـع الـمـواد المتعلقة بهذا الموضوع منذ عام ١٨٨٢م و بعد عشر سنوات اسـتـطـاع أن يكتب مقالا كمقدمة لديوانه الشعري الذي أصدر أول مرة في عام ١٨٩٣م، وأصـبـحـت هـذه الـمقدمة كتابا مستقلا فيما بعد للنقد الأردوي الحديث وحـظـى بـشـهـرة كـبـيـرة فـي الأوسـاط العلمية والأدبية ومن الجدير بالذكر أن كـتـاب"مقدمة شعرو شاعرى" هو مثل كتاب "بوطيقا" لأرسطو في النقد الغربي و غـنـى عن الـبـيـان أن كـليم الدين أحمد الذي لا يقدر بوجه عام مجهودات نقاد اللغة الأردية قد أعجب بهذه المقدمة و قدرها قائلا:

"مقدمه شعرو شاعرى" أردو ميں گويا پهلى اور اهم ناقدانه تصنيف هے"(٢٦)

(إن "مقدمة شعر وشاعري" هي أول وأهم كتاب للنقد في اللغة الأردية)

وبمكان آخر يقول الأديب الكبير مولوى عبد الحق مبرراً أهمية هذا الكتاب:

"يه صرف ان كے ديوان كا مقدمه نهيں بلكه اردوفن تنقيد كا پهلا مقدمه هے"(٢٧)

(إن هـذا الـكـتـاب ليس بمقدمة لديوانه فقط بل هو أول مقدمة لفن النقد الأردوي). وأديب ومؤرخ آخر وهو رام بابو سكسينا يعلق على هذا الكتاب كالتالي:

...The Muqadama which covers more than two hundred pages constitutes the modern Avapoetica. It is a valuable essay on criticism retting forth the ideals of poetry in different nations,"(٢٨)

(تحتوى "مقدمة شعرو شاعري" على اكثر من مائتى صفحة و تشكل فن الشعر الجديد و إنها مقالة قيمة حول النقد و تنعكس فيها أفكار الشعر المتواجد عند الأمم المختلفة).

ينقسم هذا الكتاب إلى جزئين و في جزئه الأول تكلم حالي عن الشعر و أصوله وموارده الأساسية و الجزء الثاني لهذا الكتاب يشتمل على النقد التطبيقي الذي ناقش فيه حالي عن أنواع الشعر المختلفة من الغزل و القصيدة و المثنوي و قد أدخل الرباعي و القطعة في ضمن الغزل. في راى حالي ليس الشعر مجرد وسيلة للتسلية و اللذة والاستمتاع بل له أهداف نبيلة ودرجات عالية و من هنا يجب على الشاعر أن تكون أمامه أغراض رفيعة و غايات منشودة و هذا القول يدفعنا إلى الاستنتاج بأن حالي كان متضلعا من آراء أفلاطون إلا انه مثل أفلاطون لا ينفى الشعراء من حدود جمهورية البشر بل يريد بقاءهم بداخل الجمهورية بشرط أن يستخدموا الشعر للأهداف النبيلة لكي يستفيد منهم المجتمع الإنساني عند احتياجه لإصلاح عيوب الناس بواسطة الشعر و هذه هي الحقيقة التي اشار إليها أفلاطون في كتابه "الجمهورية" ويؤيده حالي في هذا الأمر.

كان حالي يعتقد أن استخدام الشعر لتحسين و تطوير المجتمع البشري أمر لامناص منه و ذلك لأن الشعر من الأدوات المؤثرة التي تستعمل لإثارة العواطف و المشاعر و لاشك في أن للعواطف، دورا كبيرا في إنجاز الأعمال

البطولية فالعواطف تنفخ في قلوب الناس روح الحماسة و الطموح كما تبدد سحاب الحزن و اليأس و إن هذه النظرية برزت في مخيلته بسبب الظروف القائمة التي كان يعيش فيها وكان المجتمع الهندي حينذاك يعاني معاناة شديدة من الركود العقلي و الخمود الفكري و كان يسوده اليأس و الحزن و الاضمحلال وكان يبدو من المستبعد أن يخرج هذا المجتمع من هذه الورطة المشؤمة فنظرا لهذه الأحوال المتدهورة أصر العلامة حالي على الجوانب الخلقية كما هو و اضح من قوله الآتي:

"شعر اگرچه براه راست علم الأخلاق كى طرح تلقين اور تربيت نهيں كرتا، ليكن از روئے انصاف اس كو اخلاق كا نائب اور قائم مقام كهه سكتے هيں"(٢٩).

(ولو أن الشعر لا يقوم بعملية التلقين و التربية مباشرة مثل علم الأخلاق إلا أنه لمن العدل و الإنصاف أن نضع الشعر موضع الأخلاق و نجعله نائبا عنها).

في رأى حالي لابد أن يخدم الشعر والشعراء كلاهما المجتمع الإنساني لأنهما جزءان هامان للحضارة البشرية فلا مناص للمجتمع الإنساني منهما و كما أن الشاعر يتأثر بالظروف الاجتماعية إنه يؤثر كذلك تأثيراً قويا على المجتمع الإنساني ومما لاشك فيه أن هذه النظرية النقدية كانت جديدة في اللغة الأردية ومأخوذة من النقد الغربي.

و قد تحدث العلامة حالي عن حقيقة الشعر بالإسهاب والتفصيل وكل ما جاء به في هذا الخصوص هو حصيلة مطالعته الواسعة ومما نلاحظ أنه قد ألقى في هذه المقدمة الضوء على جميع تعريفات متعلقة بالشعر وفي النهاية أبدى إعجابه بما وصف به "لورد مكالى" الشعر والشاعرية وفضلا عن ذلك درس حالي بمنتهى الدقة مقال "ملتون" الذي ناقش فيه عن أهمية الشعر وحقيقته و عناصره المختلفة ودوره في ترقية الحضارة.

وعلى أساس مطالعته الواسعة استعرض حالى راى ميكالى عن الشعر و الأدب ويبدو أنه لا يتفق معه كليا يقول:

"لارڈ مکالی نے جو کچھ شعر کی نسبت لکھا ھے اس کو شعر کی تعریف نہیں کھا جا سکتا لیکن شعر سے آج کل جو کچھ مراد لی جاتی ھے اس کے قریب قریب ذھن کو پھنچا دیتا ھے"(٣٠)

(كل ماكتبه اللورد ميكالي عن الشعر لا يمكن اعتباره تعريفا للشعر إلا أن كل ما يراد اليوم بالشعر يتقرب إليه الذهن من خلال ما قاله اللورد مكالى عن الشعر).

و يتضح من العبارة السالفة الذكر أن حالى يتفق مع راى ميكالى إلى حد كبير، و في الحقيقة أن ميكالى قد استفاد كثيرا من رأي أرسطو الذي يتلخص في أن الشعر نوع من "النقل" فمتأثر بهذا الرأي كان ميكالى يعتقد بأن الشعر نقل و ان حالى قد أخذ هذا الرأى وقال أن الشعر نوع من التمثيل، فيعرف العلامة حالى الشعر قائلا:

"جو خیال ایك غیر معمولی اور نرالے طور پر لفظوں کے ذریعہ اس لیے ادا کیا جائے کہ سامع کادل سن کر خوش یا متأثر ھو وہ شعر ھے خواہ نظم میں اور خواہ نثر میں" (٣١)

(الخيال الذي يقدم بواسطة الكلمات في أسلوب بديع غير عادى لبهجة السامع أو لتاثره هو شعر سواء كان في النظم أو في النثر).

ولا شك في أن هذا الرأي له أهمية بالغة عند نقاد اللغة الأردية لأنه لا يستلزم القافية و الوزن و الرديف لقرض الأبيات ومن الملاحظ أن "حالى" كان

يـرى ألا يـكـون الـشـعـر خـالـيا من الوزن لأن في رأيه يزداد حسن الشعر أضعافا مضاعفة بسبب الوزن فقد عبر العلامة حالي عن رأيه قائلا:

"الـبـتـه اس مين شك نهيں كه وزن سے شعر كى خوبى اور اس كى تاثير دو بالا هو جاتى هے يورپ كا محقق لكهتا هے كه اگر چه وزن پر شعر كا انحصار نهيں هے اور ابـتـدا ميں وه مـدتون اس زيور سے معطل رها هے مگر وزن سے بلا شبه اس كا اثر زياده تيز اور اس كا منتر زياده كار گر هو جا تا هے" (٣٢)

(مـمـا لا شك فيه أن الوزن يضاعف حسن الشعر و أثره فيكتب باحث أوربى "لـو أن الـشـعـر لا يقتصر على الوزن و في بادئ ذي بدء كان الشعر خاليا من هذه المجوهرة إلى أمد بعيد و لكن أثر الشعر يزداد كثيرا بسبب الوزن بدون ريب.

أما رأي حالي عن القافية فهو كالتالي:

قافيه بهى همارے هاں شعر كے لئے ايساهى ضرورى هے جيسا كه وزن مگر در حقيقت وه بهى نظم هى كے لئے ضرورى هے نه شعر كے لئے اگر چه قـافيه بهى وزن كى طرح شعر كاحسن بڑها ديتا جس سے اس كا سننا كانوں كو نهايت خوشگوار معلوم هو تاهے اور اس كے پڑ هنے سے زبـان زيـاده لـذت پاتـى هے مگر قـافـيـه اور خـاص كر ايسا جيساكه شـعـرائے عـجـم نے اس كو نهايت سخت قيود سے جكڑ بند كر ركهاهے اور پهر اس پر رديـف كـا اضافه فرمايا هے، شاعر كو بلا شبه اس كے فر ائض اداكر نے سے باز ركهتا هے جس طرح صنائع لفظى معنى كا خـون كـر ديـتـى هے اس طرح بلكه اس سے بهت زياده قافيه كى قيد ادائے مطلب مي خلل انداز هوتى هے". (٣٣)

(الـقـافـيـة ضـروري للشعر مثل الوزن ولكن في الحقيقة هى ضروري لـلـنـظم فقط لا للشعر .... و لا شك أن القافية تزيد حسن الشعر مثل الوزن

فالأذان تستمتع بسماعها و تتلذذ بقراءتها الالسن و مع ذلك فإن القافية و خاصة القافية التى كتبها شعراء العجم بشروط صارمة بما فيها الرديف فهذه الشروط تحول بين الشاعر وبين اداء واجباتهم و كما أن الصنائع اللفظية تقتل المعنى كذلك بل أكثر من ذلك قيد القافية يحدث الخلل في أداء المعنى).

نستشف من هذه العبارة أن استخدام القوافى و الأوزان في الشعر ليس من الضرورى عند حالى ويعنى ذلك أن الوزن و القافية ليسا عنصرين هامين للشعر و في هذا الخصوص يقول حالى:

"وزن اور قافيه جن پر همارى موجوده شاعرى كادارو مدار هے اور جس كے سوا اس ميں كوئى خصوصيت ايسى نهيں پائى جاتى جس كے سبب سے شعركا اطلاق كيا جاسكے اور يه دونوں شعر كى ماهيت سے خارج هيں". (٣٤)

(إن الوزن و القافية اللتين يعتمد عليهما شعرنا المعاصر ولا يوجد فيه غيرهما أية ميزة تطلق على أساسها على الشعر كلمة الشعر خارجان عن ماهية الشعر).

على أية حال فإنه ليس من الضروري أن يكون الخبير بالعروض شاعرا وذلك لأن العروض لا يعطى الشعر أية ميزة خاصة و الشيء الممتاز الذي يفضل شاعرا على شاعر هو المعنى.

و قد تناول العلامة حالى قضية اللفظ و المعنى بقدر من التفصيل وفي هذا الشأن نقل آراء ابن خلدون الذي يقول إن اللفظ هو كل شئ في الشعر وليس للمعنى اهمية كبيرة و قد اختلف حالى عن هذا الرأي لابن

خلدون وقال إن اللفظ و المعنى يتساويان في القدر و الدرجة وليست لاحد منهما فضيلة على الآخر ونستنتج من كلام العلامة حالى حول هذا الموضوع أن العلامة حالى كان ميالا إلى المعنى أكثر من ميله إلى اللفظ.

و قد و ضع العلامة ثلاثة شروط لقرض الأبيات بحيث أوضح أنه لايمكن للشعر أن يبلغ إلى درجة الكمال بدون مراعاة هذه الشروط الثلاثة و عناصر هذه الشر انط كما يلي:

(١) الخيال (٢) التأمل في الكون (٣) الفحص عن الألفاظ. يقول العلامة حالى أن هذه الشروط تحدد منزلة شاعر و قد ألقى الضوء على كل من هذه الشروط فمثلا هو يعرف الخيال قائلا:

"وه ايسى قوت هے كه معلو مات كا نخيره جو تجربه يا مشاهده كے نريعه سے ذهن مين پهلے سے مهيا هو تا هے يه اس كو مكرر ترتيب دے كر ايك نئى صورت بخشتى هے اور پهر اس كو الفاظ كے ايسے دلكش پيرائے ميں جلوه گر كرتى هے جو معمولى پيرايوں سے بالكل الگ يا كسى قدر الگ هوتا هے".(٣٥)

(التخيل هو ملكة تقوم في صورة جديدة مكررا و مرتبا و هى خزانة المعلومات التي تزخر في الذهن سبقا بواسطة التجارب أو المشاهدة ثم تعرضها عن طريق الكلمات في أسلوب جذاب رائع بديع يتميز من الأسلوب العادى إلى حد كبير).

نستشف من هذه العبارة أن التخيل موهبة إلهامية عن طريق المجاهدة والممارسة، وإذا وجدت في شخص هذه الموهبة تزداد و تنمو بالممارسة و التمرين وبعد هذا التوضيح يقدم حالى إلى الشعراء نصيحة مفادها: الا يهيم الشعراء في كل واد على أساس التخيل بل عليهم أن يجعلوا عقولهم رقباء على

المعانى و الكلمات المستعملة في قصائدهم و ذلك لان معانى الشعر في أكثر الأحيان لعلو التخيل.

و الشرط الثاني لقرض الابيات و هو التفكير في الكون شرط أساسى عند حالى للحصول على درجة الكمال في الشعر، ولتحقيق هذا الهدف يجب على الشاعر أن يدرس بدقة جوهر الأشياء و خصائص الطبيعة الإنسانية و تساعده في هذا المجال مهارته وممارسته الفنية ولو أمعن الشاعر نظره في طبيعة الإنسان و الكون فتنكشف عليه أسرار الكائنات و رموزها الدقيقة و بهذا الصدد قدم حالى أراء "سر و الترسكوت" النقدية و علق على تلك الآراء قائلا:

"جو شخص شعر كى ترتيب ميں اصليت كو ها تهـ سے نهيں جانے ديتا اور محض هوا پر اپنى عمارت كى بنياد نهيں ركهتا وه اس بات پر قدرت ركهتا هے كه ايك مطلب كو جتنے اسلوبوں ميں چا هے بيان كرے، اس كاتخيل اسى قدر وسيع هو گا جس قدر اس كا مطالعه وسيع هو گا".(٣٦)

(الشخص الذى لا يفقد الاصل و الحقيقة لدى ترتيب الشعر و الذي لا يؤسس عمارته على الهواء، يقدر على أن يعبر عن مفهوم واحد بأي أسلوب يشاء لأن تخيله يتسع قدر وسعة مطالعته).

و الشرط الثالث الذي قرره الأستاذ حالى لقرض الأبيات هو الفحص عن الألفاظ والكلمات لا يمكن أن يستوفى شاعر هذا الشرط إلا أن يكون قادرا على أساليب اللغة وكلماتها و على أساس هذا الشرط يبدى الشاعر كل ما يختلج في نفسه بالمتانة و السلامة و البراعة يقول حالى في هذا الخصوص:

"شعركى ترتيب كے وقت أول متناسب الفاظ كا انتخاب كرنا اور پهر ان كو ايسے طور پر ترتيب دينا كه شعر سے معنى مقصود سمجهنے ميں مخاطب كو كچهـ تردد باقى نه رهے اور خيال كى تصوير خود آنكهوں كے سامنے پهر جائے اور

باوجود اس کے اس ترتیب میں ایك جادو هے جومخاطب کو مسخر کر لے اس مرحله کاطے کرنا جس قدر دشوار هے اس قدر ضروری بهی هے کیونکه اگر شعر میں یه بات نهیں هے تو اس کے کهنے سے نه کهنا بهتر هے". (۳۷)

(عند ترتيب الشعر يجب على الشاعر أن يختار الفاظا متناسقة ثم يرتبها بحيث لا يبقى في ذهن المخاطب أي لبس و غموض في فهم معنى الشعر و تتجلى أمامه صورة الخيال تلقائيا علاوة على ذلك يوجد في ترتيبه سحر خفي يجعل المخاطب مفتونا و مع أن قطع هذه المرحلة صعب للغاية إلا أنه ضروري لأن الشعر إذا يكون خاليا فمن الأحسن إلا يأتى به أحد").

ومن الملاحظ أن لهذه الشروط الثلاثة التي وضعها حالى لقرض الابيات أهمية كبيرة في العصر الراهن الذي أحرز فيه الأدب الأردوي أكبر تقدم ولاسيما في مجال النقد و البلاغة و بصرف النظر عن هذه الشروط الثلاثة أشار حالى إلى أمور يجب مراعاتها في الشعر و الأدب و هذه الأمور هى السذاجة و الإصالة و الحماسة و قد اعتمد حالى في هذا الخصوص على آراء "ملتون" النقدية وقد شدد "ملتون" على هذه الصفات الثلاث و أوضح أن السذاجة في اللفظ و الخيال فيجب على الشعراء والأدباء ألا يستخدموا الفاظا عويصة و أخيلة معقدة ويقول حالى في شرح الإصالة أن كل ما يعرض في الشعر يجب أن يكون مبنيا على الصدق والحقيقة وأما الحماسة فالمراد منها أداء المعنى مباشرة في أسلوب مؤثر واللافت للنظرهنا أن هذه الأمور الثلاثة ليست من الأمور التي يأتى بها "ملتون" لأول مرة كما أشار إليه حالى بل هى من أهم عناصر الشعر التي اهتم بها الشعراء العرب في جميع العصور و بوجه خاص الشعر الجاهلى مبني على العناصر الشعرية المذكورة آنفا.

ولا يستنتج احد مما ذكرناه في السابق أن العلامة قد اعتمد كليا على النقد الغربي و الحقيقة في هذا الامر هى انه قد طالع بدقة النقد العربي و كان من مراجعه العربية "المزهر" للعلامة جلال الدين السيوطى و "مقالات علم الأدب" للعلامة ابن خلدون وكتاب العمدة و "رسالة النملة" لابن رشيق القيروانى" و قد نقل الأستاذ حالى أقوال النقاد العرب عندما احتاج إليه اثناء البحث حول تعريف الأدب و الشعر و حيثما وقع الخلاف بينه وبين النقاد العرب بدون تردد قد صرح بذلك، و على سبيل المثال عندما نقل الرأي التالي للاصمعى عن المعنى"أن يأتى المعنى في الذهن قبل اللفظ يعنى ان يكون سريع الفهم".(٣٨)

اختلف حالي عن هذا الراى لأن هذا التعريف للشعر لا يستوفى شرط السذاجة وكذلك بعد نقل المقولة التالية لخليل بن أحمد الفراهيدى عن الشعر الذي وضعه من ضمن الشروط الثلاثة لزيادة التاثير في الشعر:

"كان الشعر جيدا عنده إذا يتبادر ذهن السامع إلى القافية على الفور ما سمعه". (٣٩)

يعلن حالى أن هذا التعريف ليس بكامل وبعد ذلك ينقل البيت التالي لزهير بن أبي سلمى في تعريف الشعر:

وأن أحســـــن بيت أنت قائله

بيت يقال إذا أنشدته صدقا (٤٠)

يستحسن حالى هذا التعريف للشعر لأنه هو يتصف بصفة الإصالة و الصدق و في ختام البحث عن هذا الموضوع يقدم حالى ما قاله ابن رشيق عن

الـشـعر و الأدب و يصرح بان تعريف ابن رشيق للشعر من أحسن التعاريف فيقول ابن رشيق في تعريف الشعر:

فإذا قيل اطمع الناس طرا

وإذا ريم أعجز المعجزينا (٤١)

وبعد نقل هذا البيت يقوم حالى بالمقارنة بين آراء ملتون وابن رشيق القيروانى ويتوصل إلى النتيجة التالية:

"ابن رشـيـق كـى تـعـريـف سے يه مفهوم معلوم هوتا هے كه عمده شعركا سـرانـجـام هـونـا زياده تر حسن اتفاق پر مو قوف هے، شاعر كے قصد و اراده كو اس ميں چنداں دخـل نهيں هے وه شـاعـر كـو عـمـده شعر بتانے كا طريقه نهيں بتاتا بلكه يه بتاتا هے كه شاعر كو كو نسے شعر كو عمده سمجهنا چاهيے، بخلاف مـلـتن كے كـه اس كے بـيـان ميں دونوں پهلو موجود هيں اس سے عـمده شعر كى پهچان اور عـمـده شـعـر كهنے كے اركـان دونوں بـاتيں معلوم هوتى هيں اگرچه يه ضـرورى نهيں هے كـه مـلـتن كى تينوں شرطيں ملـحوظ ركهنے سے هميشه ايسے هـى سهل ممتنع اشعار انجام هونگے، جن كا معيارابن رشيق نے بتاياهے ليكن يه ضرور هے كه جو شاعر اسكى شرطوں كو ملـحوظ ركهے گا اسكے كلام مين جابجا بجليان كوندتى نظر آئيں گى".(٤٢)

(يـبـدو من تـعـريف ابن رشيق أن جودة الشعر تتوقف على عنصر الـفجاءة و لا دخل فيه لارادة الشاعر وقصده و هو لا يهدى الشاعر إلى قرض البيت الـجيد فـحـسـب بل يرشده إلى فهم ما هو جيد من الأبيات و على عكس ما قاله ملتون يـوجـد فـي تـعـريف ابن رشيق كلا الـعنصرين و هما معرفة الشعر الـجيد وقرض

الشعر الجميل، وليس من الضروري ان يأتى دائما بالشعر السهل الممتنع نتيجة لاتباع الشروط الثلاثة التي وضعها ملتون و التي قد أشار إليها ابن رشيق من قبل إلا أن في شعر الشاعر الذي يراعى هذه الشروط تظهر من حين لآخر لمعات البروق).

ويتضح من العبارة المذكورة أن حالى كان أكثر اهتماما بآراء ملتون ونظرياته النقدية وذلك لأنه كان يلاحظ فيها صفة الشمول و الكمال و من هنا اتخذها بالنواجذ وفي الوقت ذاته نرى ان حالى كان يتضلع من اصول وقواعد ونظريات النقد العربي وبالرغم من هذه الحقيقة أنه فضل اصول النقد الغربي على قواعد النقد العربي. وذلك لأن العصر الذي عاش فيه حالى كان عصر الإنجليز وكانت لهم السطوة و الغلبة في جميع ميادين الحياة إذ كان المسلمون الهنود بل العالم كله متأثرين بثقافة الغرب المتطورة ولذا حاول الأدباء و النقاد أجمعهم أن يستعرضوا ثقافاتهم و علومهم من منظور غربي و الحقيقة في هذا الأمر هي أن معظم الأصول النقدية المنسوبة إلى ملتون ومكالى كانت موجودة في صفحات كتب النقد العربي وقصائد شعراء العرب وكتابات نقادهم. و بما أن أهل اللغة الأردية كانوا بوجه عام غير متضلعين من أصول النقد العربي فلم يستفيدوا من تلك الأصول حق الاستفادة.

**النقد التطبيقي في "مقدمة شعروشاعري":**

النصف الثاني "لمقدمة شعر وشاعري" يتناول النقد التطبيقي و تحدث فيه حالي عن الغزل و القصيدة و المثنوي كما أدخل الرباعي و القطعة (٤٣) في عداد الغزل و استعرض كل نوع من انواع الشعر بقدر من التفصيل واعترف بعلو مكانة الشعر العربي بالمقارنة مع الشعر الفارسي إلا أنه بعض الأحيان فضل

الشعر الفارسي على الشعر العربي و بوجه خاص على أساس المثنوي لمولانا رومى و شاهنامة (٤٤) للفردوسي، وكان اعجاب حالي و ولعه بالغزل و التشبيب أكثر من جميع الفنون الأدبية الأخرى، وقد اعترف صراحة بوسعة آفاق الغزل و لأجل ذلك شدد على اصلاحه وتحسين مستواه الأدبي كما هو واضح من كلمات حالي التالية:

غزل كى اصلاح تمام اصناف ميں سب سے زياده اهم اور ضرورى هے قوم كے لكهے پڑ هے اور ان پڑھ سب غزل سے مانوس هيں بچے اور بوڑ هے سب تهوڑا بهت اس كا چٹخاره ركهتے هيں ...... اس كے اشعار هر موقع اور هرمحل پر سند يا تائيد كلام كے طورپرپڑ هے جاتے هيں". (٤٥)

(الغزل في أمس حاجة للاصلاح بالنسبة لأنواع الشعر الأخرى لأن المثقفين و غير المثقفين كلهم يانسون بهذا الفن و الشيوخ و الأطفال بأجمعهم يتلذذون به و أبياته تقدم لكل مناسبة استشهادا أو تائيدا للقول في الكلام).

كان حالي يحب هيئة و بنية الغزل لأن افكارا مختلفة تقدم بواسطتها ومن هنا لم يكن حالي يرى اية حاجة لاصلاح هيئة اوبنية الغزل إلا انه كان أكثر اعتناءا باصلاح الجانب اللغوي للغزل وذلك لأنه قد وجد الغزل في عصره يستخدم لأغراض تافهة و سوقية ومعان مبتذلة عارية عن العواطف الصادقة.

و لهذه الأسباب كلها قد ركز العلامة حالي عنايته على اصلاح هذا الفن و لخص نظرياته في هذا الخصوص في اربع نقاط وهي كالتالي:

١ - أن يكون الغزل خاليا من العواطف السيئة ومبنيا على الحقيقة و الصدق.

٢ ـ أن يقدم الأفكار العالية للعشق مثلما فعل رومي وحافظ و عروضي سمرقندي و سعدي الشيرازي.

٣ ـ أن ينظم الغزل في أسلوب ساذج.

٤ ـ و أن يذكر المعاني ممزوجة بصدق العاطفة و الحماسة.

وقد أبرز حالي أهمية الغزل قائلا:

"غزل كو جن لوگوں نے چمکایا اور مقبول خاص و عام بنایا ھے یه وه لوگ تھے جو آج تك اھل الله یا صاحب باطن یا کم سے کم عشق الھي کا راگ گانے والے سمجھے جاتے ھیں جیسے سعدي، رومي، خسرو، حافظ عر اقي اور احمد جامي وغیرھم، ان بزرگوں سے پھلے غزل کی طرف زیاده اعتناء نھیں پایاجاتا".(٤٦)

(و من الأشخاص الذين اعطوا الغزل رونقا و لمعة و جعلوه شائعا بين العوام والأعيان هم الربانيون الذين تغنوا بأغانى الحب الالهي من أمثال سعدي و رومي و خسرو وحافظ العراقي و أحمد جامي وغيرهم، لم يكن هناك أي اعتناء خاص بالغزل من قبل).

نستشف من العبارة المذكورة أن حالي لم يكن مطلعا على تراث الغزل للعصر الجاهلي و العباسي و بهذا يظهر نقص معلوماته عن الشعر العربي ونقده.

كان حالي يحب الرثاء لان هذا الفن في رأيه يبني على الحقيقة و توجد فيه الحماسة و العاطفة كما تدعو المراثي إلى الاخلاق النبيلة و العواطف الانسانية الحميدة، ولذا فان هذا الصنف من الشعر قد ازدهر و شاع في العربية و الفارسية و الاردية و قطعت أشواطا كبيرة.

تعتبر القصيدة من أهم الفنون الشعرية و كما يجدر بالذكر أن حالى لم يكن يحب هذا الفن لأن هذا الفن في عصره كان يستخدم بوجه عام للارتزاق والتملق للملوك، ولكن إذا كانت القصيدة مبنية على العاطفة و الحقيقة تكون شيئا محبوبا عند حالى فقد تحدث في كتابه عن القصيدة في ضوء أصوله النقدية.

**المثنوى :**

هو أيضا فن من فنون الشعر وله أهمية وفائدة أكبر من جميع الفنون الشعرية الأخرى و في المثنوى ليس من الضروري أن يكون جميع الأبيات متحدة القوافى إلا أنه يجب أن يقدم موضوعا واحداً في سلسلة متلاحقة متناسقة ويسمح فيه بجمع أفكار متنوعة وموضوعات مختلفة. فكان المثنوى متداولا في الفارسية والأردية قد استعرض حالى فن المثنوى فى ضوء أصوله النقدية التي استمدها من آراء ملتون ومكالى النقدية و أبرز أهمية وضرورة هذا الفن الشعرى وقدم ارشادات وتوجيهات فى هذا الخصوص وهي كمايلي:

١ ـ أن يكون الكلام في المثنوى مربوطاً بعضه بالبعض.

٢ ـ القصص التي يتضمنها المثنوى مبنية على أمر مستحيل أو خارجة عن العادة.

٣ ـ أن تستخدم الصنائع والبدائع بغاية من الدقة لكى لا تتسم بالغلو الفاحش.

٤ ـ أن يكون الكلام حسب مقتضى الحال.

٥ - أن تكون الأحوال التي تلقى الضوء على شئ أو مكان حسب الفطرة والعادة لفظا ومعنى.

٦ - أن لا يوجد في قصة تناقض بحيث يتعارض حادث مع حادث آخر وتكذب واقعة واقعة اخرى.

٧ - أن لا يذكر شيء يتعارض مع التجربة أو المشاهدة. (٤٧)

وينتهى كتاب "مقدمة شعر وشاعرى". هذه الارشادات القيمة المتعلقة بالمثنوى وقد تحدث حالى عن الفنون المذكورة أعلاه في ضوء نظرياته و أصوله النقدية وحاول ألا يخرج عن نطاق نظرياته ويتضح من محاولته هذه أنه كان أشد تمسكا باصوله النقدية و بتطبيقها على الأعمال الأدبية المتواجدة في عصره.

**التماثل الفكري بين "الغربال" و "مقدمة شعر و شاعري"**

من الملاحظ أن الكتابين المذكورين قد صدرا في وقت متقارب في لغتين مختلفتين، و لعبا دورا رئيسيا في اطلاع الجيل الجديد على المناهج والاتجاهات الأدبية و النقدية الحديثة وفتحا بابا عريضا واسعا أمام الأدباء و الشعراء للفكر و التمعن بحيث تعرف أدباء الأردية وشعراؤها على أصول النقد الحديث و المباحث الفنية الجديدة بواسطة كتاب "مقدمة شعر و شاعري" كما اطلع أدباء اللغة العربية على حرية الفكر والتعبير و منهج النقد الفني عن طريق الغربال، وفي الحقيقة كان "مقدمة شعر وشاعري" أول كتاب نقدي في لغة "أردو" فسرعان ما أصبح بمثابة دستور النقد الاردوي الحديث واستعرض فيه الأستاذ حالى آراء أدبية و أصولا نقدية لم تكن معروفة في لغة "أردو" من

قبل ومن جانب آخر أصبح الأستاذ ميخائيل نعيمة رائد النقد العربي الحديث بعد تأليف كتابه النقدي الشهير "الغربال" لأنه أتى فيه بآراء وأفكار نقدية تتماشى مع موكب التيارات الأدبية الحديثة.

ولو أن هذين الكتابين يختلف بعضها عن البعض في اللغة و المكان إلا أن الظروف و الأوضاع التي كانت تسود العالم و خاصة العالم العربي وشبه القارة الهندية كانت متماثلة، الا وهي سيطرة الاستعمار الغاشم على أكثر بقاع الشرق ومن أجل ذلك نشاهد اتحاد الفكر والروية بين أكثرية أدباء وشعراء الشرق وفي هذا السياق من الطبيعي أن نجد بعض التماثل والتوارد الفكري بين مواد "الغربال" و "مقدمة شعر وشاعري".

في عهد نعيمة كان اتجاهان معروفان يسيطران على الأدب أولها الفن للفن بحيث أن غاية الشعر محصورة في الأدب فلا يجوز للشاعر ولا للأديب أن يتجاهل هذه الغاية في أي حال من الأحوال والاتجاه الثاني كان يتمركز في "الأدب للحياة" الذي يتلخص في أن الشعر وظيفته الخدمة لحاجات الناس وإنه زخرفة لا ثمن لها، إذا قصر عن هذه المهمة ومشيرا إلى هذين المذهبين يقول الأستاذ ميخائيل نعيمة:

"إنما نكتفي أن نقول أن الشاعر لايجب أن يكون عبد زمانه ورهين إرادة قومه ينظم ما يطلبون منه فقط ويفوه بما يروقهم سماعه وإذا كان هذا ما يعينه أصحاب المذهب الأول (الفن للفن) فلاشك انهم مصيبون لكننا نعتقد في الوقت نفسه أن الشاعر لا يجب أن يطبق عينيه ويصم أذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحيه إليه نفسه فقط سواء كان لخير العالم أو لويله، ومادام الشاعر يستمد غذاء لقريحته من الحياة فهو لا يقدر - حتى لو حاول ذلك - إلا أن يعكس

أشعة تلك الحياة في أشعاره فيندد هنا ويمدح هناك ويكرر هناك، لذلك يقال أن الشاعر ابن زمانه، وذلك صحيح في أكثر الأحوال إن لم يكن في كلها". (٤٨)

وفي موضع آخر يصف ميخائيل نعيمة الأدب وفنونه كما يلي:

"انه - أعني الأدب - واسع كالحياة، عميق كأسرارها ينعكس فيها وتنعكس فيه". (٤٩)

وبالمقارنة مع ميخائيل نعيمة كان حالي محدود الثقافة إذ أنه لم يكن يعرف الإنجليزية جيدا فلم يكن يستطيع أن يستفيد من الأدب الإنجليزي مباشرة ومن هذا لم يتضح عليه أفكار نقدية إنجليزية بطريق أحسن، فآراؤه عن النقد الإنجليزي في أكثر الأحيان غير واضحة وبالرغم من هذه الحقيقة هناك تماثل وتشابه بين رأي حالي وميخائيل نعيمة حول بعض القضايا الأدبية والنقدية فعلى سبيل المثال يقول حالي كما قال ميخائيل نعيمة أن الشعر تابع للمجتمع الإنساني وننقل فيما يلي كلمات حالي في هذا الشأن:

"ممكن هے كه سوسائٹی كے دباؤ يا زمانه كه اقتضاء سے شعر پر ايسی حالت طاری هو جائے كه وه بجائے اسكے كه قومی اخلاق كی اصلاح كرے اس كے بگاڑنے اور بر باد كرنے كا ايك زبر دست آله بن جاے، قاعده هے كه جس قدر سوسائٹی كے خيالات، اسكی رائيں، اسكی عادتيں، اسكی رغبتيں، اس كاميلان اور مذاق بدلتا هے اس قدر شعر كی حالت بدلتی رهتی هے اوريه تبديلی بالكل بےاراده معلوم هوتی هے كيو نكه سوسائٹی كی حالت كو ديكھ كر شاعر قصداً اپنا رنگ نهيں بدلتا بلكه سوسائٹی كے ساتھ ساتھ وه خود بخود بدلتا چلا جاتاهے".(٥٠)

(ومن الممكن أن تطرأ على الشعر حالة بفعل تاثير المجتمع أو بمقتضى الزمان لا يستخدم فيها الشعر لاصلاح أخلاق الناس بل يستخدم لفساد

طـبـائع الناس ومن القاعدة المسلم بها أن مثل ما تتبدل آراء المجتمع وتقاليده وعـاداتـه ورغـباته وميلانه ومذاقه تتغير بنفس القدر حالة الشعر، و هذا التغير يـتـحـقـق بـطـريقة خفية ولاجل ذلك لا يغير الشاعر لونه عن قصد تحت ضغط حالة المجتمع بل هو يتغير تلقائياً مع المجتمع الإنساني).

لا يـتفق الأستاذ ميخائيل نعيمة مع أفلاطون في نفى الشعراء من مملكة الـجـمـهـوريـة وفي هذا السياق ندد ميخائيل نعيمة بشدة العلماء و النقاد الذين حـاولـوا تـقـلـيـل مـراتـب الـشـعـراء و مكانتهم و مشيرا إلى هذه الحقيقة يقول ميخائيل نعيمة:

"عـبـثـا حـاول تـو لـسـتوي و سواه أن يحطوا من مقام الشعر وينزلوا عن مـمـلـكـتـه الإلـهـية إلى مملكة النسيان والخمول، عبثا نددوا به فعظموا آفاته و صـغـروا مـحـاسـنـه و نهوا عن صرف الوقت في قرضه، مادام الإنسان إنسانا، مـادام فـيـه مـيـل فـطري إلى الغناء إن كان في الحزن والطرب و مادامت اللغة واسطة لتصوير أفكاره والتعبير عن عواطفه و آماله، فسيبقى الشعر حاجة من حـاجـاتـه الـروحـيـة. لأنه في الشعر يجسم أحلامه عن الجمال و العدل و الحق و الخير و فيه يرسم الحياة التي تعشقها روحه ولا تراها عيناه ولا تسمعها أذناه حـوالـيـه بـين أقـذار الـعـالـم و دأبـه الـيـومـي و هـمـومـه الـصغيرة و مشاكله الكبيرة.(٥١)

و الشعر عند نعيمة في الحقيقة مرآة صاقة للمجتمع الإنساني فهو يمثل كـل مـرحـلـة من مـراحل الحياة البشرية وكل فرد من أفراد المجتمع الإنساني، و فـي ضـوء هـذه الـقـاعدة الكلية استعرض نعيمة كافة تعاريف الأدب و الشعر وبعدئذ لخص رايه فيما يلي:

"ولو ألقينا نظرة سطحية على هذه التعاريف لوجدناها مع كل ما فيها من الاختلاف الظاهر في التعبير، تدور حول نقطتين جوهريتين، قسم منها ينظر إلى الشعر من جهة تركيبه وتنسيق عباراته وقوافيه و أوزانه والآخر يرى في الشعر قوة حيوية قوة مبدعة قوة مندفعة دائما إلى الأمام، و الشعر في الحقيقة ليس الأول وحده ولا الثاني فقط بل هو كلاهما، الشعر هو غلبة النور على الظلمة والحق على الباطل، هو ترنيمة البلبل ونوح الورق وخرير الجدول وقصف الرعد، هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى، وتورد وجنة العذراء وتجعد وجه الشيخ، هو جمال البقاء وبقاء الجمال الشعر ـ لذة التمتع بالحياة، والرعشة أمام الموت، هو الحب و البغض فالشاعر هو الحياة باكية و ضاحكة وناطقة وصامتة ومدلولة ومهللة وشاكية ومسبحة ومقبلة ومدبرة".(٥٢)

يعتقد حالي مثل ميخائيل نعيمة أن الشعر ليس مجرد وسيلة للتسلية والتلذذ والاستمتاع بل له أهداف نبيلة وأغراض إصلاحية و هذا يدل على انه كان أكثر تضلعا من آراء أفلاطون إلا أنه لا يؤيد افلاطون في نفى الشعراء من حدود الجمهورية بل يريد بقاءهم بداخل الجمهورية و يقول إن الشعر قوة تنفخ في الإنسان روحا طيبة تسد حاجاته الروحية كماتوفر له أسباب الراحة والدعة والتسلية و إلى هذه الحقيقة يشير حالي قائلا:

"جب که افلاس میں قوت لایموت کے لئے یا تونگری میں جاه ومنصب کے لئے کو شش کی جاتی هے اور دنیا میں چاروں طرف خود غرضی دیکھی جاتی هے، اس وقت انسان کو سخت مشکلین پیش آتیں اگر اس کے پاس کوئی ایسا علاج نه هوتا جو دل کے بهلانے اور تروتازه کرنے میں چپکے هی چپکے مگر نهایت قوت کے ساتهـ افلاس کی صورت میں مرهم اور تونگری کی صورت میں تریاق کا کام دیے سکے یهٔ خاصیت خدانے شعر میں و دیعت کی هے".(٥٣)

(في حين يحاول الإنسان في حالة الافلاس الحصول على القوت أو في حالة الغنى لجاه أو منصب والعالم كله شديد الأثرة سيواجه مشاكل شديدة إن لم تكن عنده لتسلية و تنشيط قلبه وسيلة تعمل كبلسم في حالة الافلاس و كترياق في حالة الغنى و قد أودع الله هذه الخاصة في الشعر).

كلمات حالي المذكورة أعلاه عن حقيقة الشعر و خاصيته تدل على سعة مطالعته و دقة ملاحظته و إنه قد توصل إلى هذه النتيجة بعد قراءة كتابات مكالى و ملتون. و هذا دليل على تأثره الشديد بنظريات الناقدين المذكورين كما يتضح من كلماته التالية المتعلقة بأهمية الخيال:

"جو خيال ايك غير معمولى اورنرالے طور پر لفظوں کے ذر يعه سے اس لئے ادا كيا جائے كه سامع كا دل اس كو سن كر خوش يا متاثر هو وه شعر هے خواه نظم ميں هو اور خواه نثر ميں هو". (٥٤)

(إن الخيال الذي يقدم بطريقة مبدعة لكي يتأثر أو يفرح به قلب السامع سواء كان منظوما أو منثورا فهو الشعر).

و قد شن ميخائيل نعيمة هجوما عنيفا على العروض في مقاله "الزحافات و العلل" واتهم الخليل بن أحمد الفراهيدي بأنه قد حول الشعر العربي إلى نظم لا ينبض بفكر أو حياة و تطرف في هذه القضية حتى قال:

"العروض لم يسئ إلى شعرنا فقط بل قد أساء إلى أدبنا بنوع عام".(٥٥)

ويبدى رأيه عن عدم الاحتياج إلى القافية قائلا:

"فلا الأوزان ولا القوافي من ضرورة الشعر كما أن المعابد والطقوس ليست من ضرورة الصلاة والعبادة. فرب عبارة منثورة جميلة التنسيق،

موسيقية الرنة كان فيها من الشعراء أكثر مما في قصيدة من مائة بيت بمائة قافية". (٥٦)

ولكن في الوقت ذاته قد شدد نعيمة على احتياج الموسيقى في الشعر إذ يقول بأن الشعر لا يكتمل بدون الموسيقي و هناك بعض القواعد والاصول التي تحدد وتصحح القوالب الموسيقية للشعر، فيبدوا من هذا القول إن نعيمة كان يخالف من جانب العروض و من جانب آخر كان يصر على الموسيقي و على بعض القواعد المتعلقة بهذه الموسيقي و قد أشار إلى هذه الحقيقة قائلا:

"الشاعر الذي تعانق روحه الكون يدرك هذه الحقيقة أكثر من سواه لذاك نراه يصوغ أفكاره و عواطفه في كلام موزون منتظم، الوزن ضروري أما القافية العربية بروى واحد يلزمها في كل القصيدة". (٥٧)

مثل ميخائيل نعيمة كان حالي معارضا العروض في الشعر ففي رأيه لا يحتاج الشعر إلى العروض ومشيرا إلى هذه الحقيقة يقول:

"شعر کے لئے وزن ایك ایسی چیز ہے جیسے راگ کے لئے بول جس طرح راگ في ذاته الفاظ کا محتاج نہیں اسی طرح نفس شعر وزن کا محتاج نہیں".(٥٨)

(الوزن للشعر مثل الاغنية للحن وكما أن اللحن بنفسه لا يحتاج إلى الكلمات كذلك الشعر ليس بحاجة إلى الوزن).

و مع ذلك يعترف حالي بأن الوزن يضاعف جمال الشعر و حسنه و القافية لها أهمية مثل الوزن ولكن الشاعر لا يحتاج إلى القافية و قد أشرنا إلى رأيه هذا فيما سبق.

و عند نعيمة يتصف الشاعر بصفة النبوة والكهانة ومن هنا يقرض أبيات زاخـرة بـالأفـكـار الـفـلـسـفـيـة ويـعـرض صورة المجتمع الإنساني في صورته الأصلية، و مشيرا إلى هذه الأوصاف للشاعر يقول ميخائيل نعيمة:

"الـشاعر نبي لأنه يرى بعينه الروحية ما لا يراه كل بشر ومصور لأنه يقدر أن يـسـكـب مـا يراه و يسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام ومو سيقي لأنه يـسـمـع أصـواتا متوازية حيث لا نسمع نحن سوى هدير و جعجعة .... و الشاعر كـاهن لأنـه يـخـدم إلـهـا هـو الـحـقـيقة و الجمال، هذا الإله يظهر له في أزياء مـختلفة و أحوال متنوعة لكنه يعرفه أينما رآه ويقدم له تسابيح حيثما أحست روحه بوجوده" (٥٩).

لـم يـسـتخدم حالي كلمات و تعبيرات استخدمها الأستاذ ميخائيل نعيمة لـكن الـشـروح و التفاصيل التي جاء بها عن الشعر و حقيقته و ماهيته تدل على أن الشاعر عند حالي مصور بارع لأنه يصور الحياة و المجتمع و البيئة تصويرا، صـادق و مـبـلـغ و مـصـلـح لانه هو يلعب دورا بارزا في إصلاح المجتمع و إزاله الـفـسـاد و هو يرى ما لا يراه كل إنسان، و نبي لأنه يرى بعينه الروحية مالا يراه كـل بـشـر و الـشـاعـر الحقيقي في رأى حالي يقول ما يراه و لا يكذب فهو يكتب و يصف ما تراه عينه الروحية و ما يختمر في قلبه من الأفكار و الأحاسيس.

قـد أبدى كل من نعيمة و حالي آراءه عن اللفظ و المعنى و اللغة و الفكر، فـأمـا نـعـيـمـة فيعترف بأن للفكر فضيلة على اللغة ففي نظره اللغة ليست إلا مـظـهـر من مـظاهر الحياة الإنسانية فلا تخضع إلا لقوانين الحياة فهي تنتقى الـمـنـاسـب و تـرتـقـى من الـمـناسب إلى الانسب في كل حالة من حالاتها لأنها كـالـشـجرة التي تبدل اغصانها اليابسة بأغصان خضراء و أوراقها الميتة بأوراق

حية، و مشيرا إلى هذه الحقيقة يقول الأستاذ ميخائيل نعيمة:

"إن القصيدة من الأدب هو الإفصاح عن عو امل الحياة كلها كما تنتابنا من أفكار و عواطف، و إن اللغة ليست سوى وسيلة من وسائل كثيرة اهتدت إليها البشرية للإفصاح عن أفكارها وعواطفها وإن للأفكار و العواطف كيانا مستقلا ليس للغة، فهي أولا و اللغة ثانيا" (٦٠).

و هكذا يتحدث حالي عن قضية اللفظ و المعنى و نقل آراء ابن خلدون حول هذا المو ضوع التي تتلخص في أن اللفظ و الكلمات أهم من الافكار و المعاني، و من الملاحظ هنا أن حالي قد اختلف عن نظرية ابن خلدون التي تعتني باللفظ و المعنى معا و أثبت فضيلة المعاني و الأفكار على الكلمات و الألفاظ يقول العلامة حالي مشيرا إلى هذه الحقيقة:

"اگر شاعر کے ذهن میں صرف وهی چند محدود خیالات جمع هیں جنکو اگلے شعراء باندھ گئے هیں یاصرف وهی معمولی باتیں اسکو بهی معلوم هیں جیسے کہ عام لوگوں کو معلوم هوتی هیں اور اس نے شاعری کی تکمیل کے لئے اپنی معلو مات کو وسعت نهیں دی اور صحیفه فطرت کے مطالعه کی عادت نهیں ڈالی اور قدرت متخلیه کے لئے زیاده مصالحه جمع نهیں کیا، تو زبان پر اسکو کیسی هی قدرت اور الفاظ پر کیسا هی قبضه حاصل هو اسکو دو مشکلوں میں سے ایك مشکل ضرور پیش آئے گی۔ یا تو اسکو وهی خیالات جو اگلے شعراء باندھ چکے هیں تهوڑے تهوڑے تغیر کے ساتھ انهیں کے اسلوب پر باربار باندهنے پڑ ینگیے یا ایك مبتذل اور پامال مضمون کے لئے بیان ڈهو نڈنے پڑ ینگے، (٦١).

(إذا لم يكن في ذهن الشاعر إلا بضعة أفكار محدودة نظمها الشعراء السابقون او يعرف الشاعر مثل عامة الناس أشياء عادية ولم يحاول توسيع

معلوماته لتكميل شاعريته و لم يتعود على مطالعة صحيفة الكون و لم يجمع موادا كافية لقوته المتخيلة فهمهما تكن قدرته على اللغة و ذخيرته للكلمات سيواجه مشكلة من بين المشكلتين فإما هو يكرر بتغير بسيط الأفكار التي جاء بها القدامى في أسلوبهم أو يبحث عن أساليب جديدة لأداء مضمون ركيك و مبتذل).

و في الصفحات السابقة قد استعرضنا الأفكار التي تتوارد وتتماثل بين "الغربال" و "مقدمة شعر و شاعري" و إلى جانب ذلك ذكرنا المعاني و الآراء و الأصول النقدية التي يختلف فيها كل من ميخائيل نعيمة و الأستاذ الطاف حسين حالي في كتابيه و هما "الغربال" و "مقدمة شعرو شاعري" و يوجد بين نظرياتهما الأدبية تباين و تفاوت ملحوظ و ذلك لأن نعيمة قد استفاد من الآداب الإنجليزية مباشرة و كان يمتلك ثقافة واسعة عن اللغة الإنجليزية في حين كان العلامة حالي قاصرا إلى حد كبير عن الاستفادة من الأدب الإنجليزي مباشرة لعدم قدرته على اللغة الإنجليزية. و لذا نرى أن أصول النقد عند نعيمة أكثر و ضوحا وبيانا من أصول حالي النقدية.

**الهوامش:**

١ ـ جامع فيروز اللغات لفيروز الدين ص/٨٢

٢ ـ اردو تنقيد كى تاريخ للسيد مسيح الزمان: ص/ ٤٣ ـ ٤٤

٣ ـ المرجع السابق: ص/ ٤٥

٤ ـ مساهمة دارالعلوم ديوبند في الأدب العربي للأستاذ زبير أحمد الفاروقي: ص/ ١٢ ـ ١٣

٥ ـ اردو تنقيد كى تاريخ للسيد مسيح الزمان ص/ ٤٨

٦ - اردو تـنـقـيـد كـا ارتقاء للدكتور عبادت بريلوى ص/ ٨٦ و اردو تنقيد كى تاريخ لليسد مسيح الزمان ص/ ٨٠

٧ - اردو تنقيد كا ارتقاء للسيد عبادت بريلوى ص/ ٨٧

٨ - فن تنقيد اور اردو تنقيد نكارى للبروفيسور نور الحسن النقوى ص/ ١٠٢

٩ - اردو تنقيد كى تاريخ للسيد مسيح الزمان: ص/ ١١٠

١٠ - فن تنقيد اور اردو تنقيد نكارى للبروفيسور نور الحسن النقوى: ص/١٠٤

١١ - أزاد نظم للسيد محمد حسين آزاد: ص/٥

١٢ - داستان تاريخ اردو للسيد حامد حسن قادرى: ص/٦٥٣

١٣ - المرجع السابق: ٨٣٤

١٤ - نظم أزاد لمحمد حسين آزاد: ص/٧

١٥ - سخن دان فارس للسيد محمد حسين آزاد: ص/١٦٩

١٦ - اردو تنقيد بر ايك نظر للأستاذ كليم الدين أحمد: ص/٥٧

١٧ - شعر العجم المجلد الرابع للعلامة شبلى النعمانى: ص/١

١٨ - المرجع السابق: ص/٩

١٩ - المرجع السابق: ص/٨٦

٢٠ - كتاب العمدة لإبن رشيق القيروانى: ص/٨ - ١٨

٢١ - شعر العجم المجلد الرابع للعلامة شبلى النعمانى: ص/٧٣

٢٢ - كـاشـف الـحـقـائـق لإمـداد امام أثر: ص/١٨١ ، و السنسكريت: هي لغة هندية قديمة و كان ينطقها الهنود القدامى، يرجع تاريخها إلى ماقبل التاريخ.

٢٣ - أردو أدب كي تنقيدى تاريخ للسيد احتشام حسين: ص/١٩٣

٢٤ - الإعـلام بـمن جـاء فـي تاريخ الهند من الأعلام المعروف بـ "نزهة الخواطر" المجلد الثاني للعلامة عبد الحئ الحسينى: ص/ ٧٦

٢٥ ـ المرجع السابق: ص/٧٥

٢٦ ـ اردو تنقيد بر ايك نظر للأستاذ كليم الدين أحمد: ص/٨٩

٢٧ ـ مقدمة تنكره كلشن هند للأستاذ مولوى عبد الحق: ص/٢٣

٢٨ ـ A History of Urdu literature: Ram Babu Saksena. p.280

٢٩ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/١٥

٣٠ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٣٣

٣١ ـ المرجع السابق : ص/ ٣٥

٣٢ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/ ٣١

٣٣ ـ المرجع السابق: ص /٣٢

٣٤ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٣٣

٣٥ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٣٩

٣٦ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٤٥

٣٧ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٤٥

٣٨ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى : ص/ ٨٣

٣٩ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٨٤

٤٠ ـ المرجع السابق: ص/٨٣

٤١ ـ مقدمه شعر و شاعرى: ص/٨٤ ـ ٨٥

٤٢ ـ المرجع السابق: ص/٨٤

٤٣ ـ القطعة: هي نوع من المنظومات تشمل على بيتين أو أكثر مع وحدة الموضوع و يجب في هذا الخصوص أن يكون الشعر الأول و الرابع للبيتين متحدي القوافي.

٤٤ ـ الشاهنامه: ملحمة فارسية خالدو قام بنظمها الحسن بن اسحاق الفردوسى المتوفى سنة

٤١١ هـ و هي متضمنة تاريخ الاكاسرة و أخبارهم و احوال الحرب التي اشتعلت بين أهل ايران و طوران و قد نقلها إلى العربية نثرا الفتح بن علي البغدادي الاصبهاني و كسها في خزانة أحد الملوك الايوبيين.

٤٥ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/١١٧

٤٦ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/١٢٥

٤٧ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/ ١٩٦ ـ ١٩٩

٤٨ ـ المجموعة الكاملة المجلد الثالث لميخائيل نعيمة: ص/ ١ ـ ٤

٤٩ ـ المرجع السابق: ص/٤٣

٥٠ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/١٤

٥١ ـ المجموعة الكاملة لميخائيل نعيمة المجلد الثالث: ص/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩

٥٢ ـ المجموعة الكاملة المجلد الثالث لميخائيل نعيمة : ص/٣٩٦

٥٣ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٩٣

٥٤ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٣٥

٥٥ ـ المجموعة الكاملة المجلد الثالث لميخائيل نعيمة: ص/٣٢٧

٥٦ ـ المرجع السابق: ص/٤٢٥

٥٧ ـ المجموعة الكاملة المجلد الثالث لميخائيل نعيمة: ص/٤٠٢

٥٨ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى: ص/٣٠

٥٩ ـ المجموعة الكاملة لميخائيل نعيمة المجلد الثالث: ص/٤٠٢

٦٠ ـ المجموعة الكاملة المجلد الثالث للأستاذ ميخائيل نعيمة: ص/٤١٧

٦١ ـ مقدمه شعر و شاعرى لحالى : ص/٥٠

# التراجم العربية للمؤلفات الهندية

بقلم: د/حبيب الله خان*

إن الـتـرجـمـة جسر تعبر به ثقافة أمة إلى أمة أخرى، و يقام هذا الجسر باحتكاك شعب مع شعب لايتكلم بلغته، فمتى بدأ احتكاك العرب بالهنود لا نعرفه عـلـى وجـه التحديد، و لكننا نعرف بجزمٍ أن احتكاكهم بالهنود قديم قدم التاريخ، و الاحتكاك حتما يؤدى إلى التزاوج الثقافى الذي لا يخلو من التأثير و التأثر و من الأخـذ و الـعـطـاء بالعلوم و المعارف، و لكن للأسف الشديد لم يسجل لنا التاريخ شيئا من ذلك و تركنا نتخيل و نردد الشعر الأردوي "خاك مين كيا صورتين هونكى جو بنهان هوكنين" أى ما أجمل تلك الأشكال التي تبقى مستترة في التراب.

و إذا خـرجـنـا من الـتـاريـخ المجهول إلى التاريخ المعروف وجدنا احتكاك الـعـرب بـالـهـنود تجاريا و ثقافيا كثيرا جداً، و بهذا الصدد ذكر المؤرخون و على رأسـهم العلامة عبد الحئ الحسنى أن وفود الصحابة رضى الله عنهم بدأت تصل إلـى الـسـنـد منذ أول أيام الاسلام لغرض الدعوة الاسلامية و منهم حكم بن جبلة الـعـبـدى الذي بعثه عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما إلى السند فنزلها ثم رجـع إلـى عـثـمـان رضـى الـلـه عنه فسأله عنها فقال: "ماءها وشل و ثمرها دقل و لصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا و إن كثروا جاعوا"(١).

---

*أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بالجامعة الملية الاسلامية

عندما أردت أن أسبر أغوار التراجم العربية للمؤلفات الهندية و أتابع تطورها التاريخى، فلم أجد مفرًا من أن أناقشها في قسمين و استمحيكم أن أطلق عليهما "التراجم المستوردة و التراجم المصدرة" على وجه الترتيب إذا جازت هذه التسمية. فان القسم الأول يتناول التراجم التي قام بها العرب و هي تمثل تراجم تلك الكتب الهندية التي حظيت باهتمام العرب و شعروا بضرورة ترجمتها و قاموا بها بأنفسهم و هي ظاهرة مألوفة. و القسم الثاني يتناول التراجم المصدرة و هي تمثل تراجم تلك الكتب الهندية التي شعر الهنود بضرورة ترجمتها و تقديمها إلى العرب و هي ظاهرة غريبة إلى حدما و لها أسباب عديدة.

**القسم الأول: *التراجم التي قام بها العرب:***

لعل أول نقل من الهندية إلى العربية سجله التاريخ، حصل في زمن الخليفة المنصور الذي كان مُولعاً بترجمة كتب الفلك و التنجيم، و يقال إنه في عام ٧٧١م، جاء وفد من السند غربي الهند(٢) كان فيه رجل إسمه كنكة عارف الرياضيات و الفلك و كان يحمل معه كتاب "سوريا سدهانت" فأمر المنصور بترجمته إلى العربية و كلف (٣) بهذا الأمر ابراهيم بن حبيب الفزارى المنجم الذي كان يتقن اللغة الهندية و عُرِف هذا الكتاب "بالسندهند" و كما أخذوا من هذا الهندي كتابا ثانيا "الاركند" و ثالثا إسمه "الارجبهر" و خلال خلافة المنصور ترجم عبد الله بن المقفع كتاب"كليلة و دمنة" من الفارسية القديمة الذي كان مترجماً بدوره من اللغة السنسكريتية. و كذلك سجل لنا التاريخ اسم مسعود بن سعد سليمان اللاهورى الذي توفى سنة ٣١٥هـ فهو ولد و تربى في لاهور و درس فيها على كبار العلماء و أتقن ثلاث لغات العربية و الفارسية و الهندية و له ثلاثة دواوين في هذه اللغات الثلاث(٤)، كما سجل لنا التاريخ أن الرحالة الشهير

أبـو ريـحان البيرونى صديق ابن سينا الذي شَهِد العالم على براعته في علم الفلك و الـهيئة وصل إلى الهند في القرن الحادي عشر في عهد محمود الغزنوي و أقام عـنـده أكـثـر من عـشـر سـنـوات و عـكـف خـلال هـذه الـمـدة علـى دراسة اللغة الـسـنـسـكـريـتـيـة حتى تمكن من فهم جميع كتبها و ترجمة بعضها لاسيما في الـفـلك و الرياضيات إلى اللغة العربية(٥)، و نجد في التاريخ اسماً آخر لعب دورًا بـارزًا فـي تـرجـمـة الكتب الهندية و الفهلوية إلى العربية و هو المترجم الشهير مـحـمـد بن مـوسـى الـخـوارزمـى الذي عمل في بلاط المامون(٦)، و لكن للأسف الشديد انقرضت هذه الكتب و تناقل ذكرها خلفا عن سلف و جيلا بعد جيل.

إن الـعـرب بـفـضـل اهـتـمـامـهـم المتزايد بالترجمة خلال العهد العباسى أصـبـحـوا وارثـين لتراث الأمم القديمة بالرغم من أنهم لم يكونوا في جاهليتهم أصـحـاب تـراث كبير من العلوم و الفنون، و إنهم لم يكتفوا بهذا الحد فحسب بل أضـافـوا إلـيـه من نتاج عبقريتهم الشيء الكثير، و قبل أن أشرف عصر الترجمة عـلـى نـهـايـتـه كـانـت جـمـيع كتب فلسفية و طبية و فلكية و رياضية و علمية مـعـروفـة آنـذاك قـد نـقـلـت إلـى الـعربية و أصبح أبناؤها في غنى عن الترجمة و انـهـمـكـوا فـي الـتـألـيف و الابتكار و بلغوا ذُروتَها في حين كانت الأمم الأخرى لا تعرف شيئا عن الفلسفة و العلوم الاغريقية، و بعد سقوط بغداد على يد هولاكو عـام ١٢٥٧م بدأ الجرى العكسى للتقدم العلمى و الفكرى و ساد على العرب الركود فـي مـجـال الـتـرجمة بضعة قرون و لم يترجموا فيها إلا قليلا يستهان بها تماماً و لكنهم استيقظوا من سباتهم الطويل بعد أن قطعت الأمم الأخرى شوطاً طويلاً فـي مجال العلم و التكنولوجيا و استفادت بصورة كاملة من الكتب العربية خلال نـهـضـتها العلمية، و في بداية القرن العشرين اهتم العرب مرة أخرى بالترجمة و لـما بذلوا عنايتهم بترجمة الكتب الأجنبية المفيدة إلى العربية لم يبخلوا على

الهند ما كانت تستحق من العناية فهم أولوا اهتماماً كبيراً بالشخصيات الهندية التي أثرت فيهم و حازت كتاباتها على اعجابهم فانكرها على الترتيب الابجدى باندت جواهر لال نهرو و رابندرناث طاغور و راجندر برساد و المهاتما غاندي و العلامة محمد اقبال وغيرهم من الشخصيات البارزة. و بفضل المكانة الفكرية و السياسية المرموقة التي احتلها جواهر لال نهرو بين زعماء العالم الثالث و مؤسسى حركة عدم الإنحياز نالت كتاباته قبولا حسنا بين الأوساط العربية فهم ترجموا كتابه الشهير Discovery of India باسم اكتشاف الهند، و كتابه الثاني المعروف بـ Glimpses of World History الذي هو مجموعة لرسائل كان يبعثها نهرو لإبنته انديرا غاندي بينما كان يتنقل من سجن إلى سجن في الفترة الواقعة بين اكتوبر ١٩٣٠ و اغسطس ١٩٣٣م، شهد إقبالا كبيراً من المثقفين العرب على ترجمته فأول من انبرى لترجمته هو الكاتب الصحفى المعروف الأستاذ بهاء الدين الذي ترجم بعض الفصول من هذا الكتاب و نشرها في كتاب أسماه "الثورات الكبرى" ثم قامت لجنة من الأساتذة الجامعيين بترجمة ٦٢ فصلاً من هذا الكتاب يعالج الأمور التي يهم القارئ العربي أن يعرف شيئا عنها، و هذه الفصول تدور حول تاريخ العرب و المسلمين و الأحداث التي تلت الحرب العالمية الأولى(٧) و تقع في حوالى ٤٠٠ صفحة من النسخة الانجليزية باسم "لمحات من تاريخ العالم" و نشرت هذه الترجمة من دار الآفاق الجديدة بيروت عام ١٩٨٣م كما ترجم الدكتور عبد العزيز عتيق ثلاثين رسالة أخرى كتبها نهرو في صيف عام ١٩٢٨م و وجهها إلى ابنته إنديرا و هي في سن العاشرة و ذهبت إلى مصيف مسورى لقضاء أشهر الصيف باسم "رسائل من نهرو إلى ابنته إنديرا" و نشرت هذه الترجمة من مكتبة الانجلو المصرية و الكتاب الثالث عن نهرو هو سيرة حياته من تأليف ميشال برميشر نقله إلى العربية نخبة

من الـجـامعيين باسم صورة جواهر لال نهرو، و يقع هذا الكتاب في ٤٠٧ صفحات و نـشـر من الـمـكـتـبة الأهلية ببيروت. و الكتاب الرابع هو سيرته الذاتية بقلمه تـرجمه إلى العربية الأستاذ محمد بدران باسم جواهر لال نهرو و يقع هذا الكتاب في ٤٧٧ صفحة و طبع من مكتبة الانجلو المصرية.

إن شـخـصـيـة طاغور غنية عن التعريف و التقديم، فاسمه لامع مبين في سـمـاء الآداب الـعـالـمـيـة، و أن أى حديث عنه أو عن مؤلفاته الادبية يجرنا إلى الـمـاضـى و بـالأخـص إلـى عـام ١٩١٣م حـيث فاز طاغور بجائزة نوبل في الأدب. فـاحـتـفـلـت الهند و معها العالم الشرقى بأجمعه بشاعر الانسانية العظيم الذي وصـفـه الـمهاتما غاندي "بأن طاغور هو الحارس العظيم لضمير العالم بأسره" و قـد أقـيـمـت اكـراماً لـه الـمهرجانات الفنية، مثلت فيها مسرحياته و عزفت مـوسـيـقـاه و عـرضـت لـوحـاتـه كما كتبت عنه بهذه المناسبة دراسات و بحوث و مـحـاضـرات أفـاضت بشرح ألوان من حياته و آثاره و اهتم العالم العربي بهذا العبقرى الشرقى اهتماماً كبيرًا، و انكب على دراسة و ترجمة آثاره الرائعة، فما من مـثـقـف عـربـي مـعـاصـر لـه إلا كتب عنه و ترجم من روائعه مما يجعل من الـمـسـتحيل الإحاطة بها في هذه العجالة الناقصة، و ما أقدمه في هذا المقال يـمـثـل نخبة مختارة من التراجم التي اطلعت عليها خلال محاولتي المتواضعة و من الـمـثـقـفين العرب الذين كلفوا أنفسهم عناء الترجمة هم ابراهيم الفتوح و أحـمـد عـبـد الـغـفـار و بـدر الـدين خـلـيل و الدكتور بديع حقي و محمد طاهر الجبلاوي و هدى و كامل العبد الله و الأستاذ يعقوب.

نـقـل الأسـتـاذ ابـراهـيم الفتوح Golden Boat إلى العربية باسم "زوارق الأحـلام" حـجـم عـادى، عـدد الصفحات ١٥٠، نشر من المكتبة المصرية، ببغداد كـمـا نقل الأستاذ عبد الغفور عطار Red Oleanders إلى العربية باسم"الزنابق

الحمر" حجم عادى، عدد الصفحات ٢٦١، و نشر من دار المعارف بمصر عام ١٩٥٢م كما نقل الأستاذ بدر الدين خليل الرواية Wreck إلى العربية باسم "قلوب الزلة" حجم عادى، عدد الصفحات ٢٢٦ و نشر من مكتبة كتابي، القاهرة كما عرب الدكتور بديع حقى ستة كتب و هي Gitanjali باسم جيتنجالي و Fruit Gathering باسم جنى الثمار و The Gardener باسم البستاني و The Crescent moon باسم الهلال و The cycle of spring باسم دورة الربيع و Chitra باسم شيترا و نشرت هذه التراجم باسم روائع طاغور في الشعر و المسرح من دار القلم للملايين، بيروت، لبنان و هكذا عرب محمد طاهر الجبلاوى أربعة كتب و هي هدية المحب، حجم عادى و عدد الصفحات ٨٢ و The Crescent moon باسم الهلال، حجم عادى و عدد الصفحات ٨٨ و Post office باسم مكتب البريد، حجم عادى، و عدد الصفحات ٨٢ و Sadhana باسم سادهنا أو تحقيق الحياة مع مقدمة من الأستاذ عباس محمود العقاد، حجم عادى، و عدد الصفحات ١٧٦ و نشرت هذه التراجم كلها من مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، كما نقل هدى و كامل العبد الله مسرحية غنائية من تسعة فصول باسم "طاغور بين الحب و العبادة" و نشرت هذه الترجمة من مكتبة المدرسة و دار الكتب للطباعة و النشر ببيروت.

يُعتبر المهاتما غاندى من أكبر الدعاة إلى السلام العالمى و التعايش السلمى لدى العرب و أثر فيهم بروحه النضالية و مقاومته السلبية و فلسفته اللاعنفية و قيادته الحكيمة، لذلك أولوا به عناية فائقة لا مثيل لها في التاريخ المعاصر و كتبوا عنه عديداً من الكتب أبرزها غاندى و غاندى أبو الهند و غاندى و الحركات الهندية وغيرها من الكتب النافعة، فضلاً عن قيامهم بترجمة الكتب التي وضعت حول غاندى، اذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب الدكتور راجندر

بـرسـاد رئـيـس جـمـهورية الهند الأسبق At the feet of Mahatama Gandhi و هـو كـتـاب ضـخم دون فيه المؤلف ذكريات الأيام التي قضاها مع غاندي، نقله إلـى الـعـربية الأستاذ منير البعلبكى باسم "عند قدمى غاندى" و يقع هذا الكتاب فـي ٤٦٤ صـفـحـة و نـشـر من دار الـعـلـم للملايين بيروت عام ١٩٥٩م و كذلك نجد تـرجـمـة لـكـتاب غاندى "My Experience with Truth" نقله الأستاذ محمد سامى إلى العربية باسم "في سبيل الحق" حجم عادى و عدد الصفحات ٢٦٤ نشر من دار المعارف/ القاهرة.

إن شـاعـر الـشرق العلامة محمد اقبال الذي اعتز دائما بنغمته الـحجازية و فـلـسـفته الإسلامية دخل البلدان العربية متأخرا جدا، و لعل أول من عرفه في الـعـالـم الاسـلامـي هـو سماحة العلامة أبو الحسن على الندوي عن طريق كتابه روائـع اقبال الذي نال قبولا حسنا في البلدان العربية و ظهرت له عدة طبعات من دار الـفكر دمشق و دار القلم الكويت و دار الـفتح بيروت و نرى في الوقت الـحاضر اقـبـالا مـتزايدا على دراسة اقبال من جوانب عديدة و قائمة الشخصيات العربية الـبـارزة التي عُنيت و لا تزال تعنى بهذا الموضوع طويلة جداً أبرزها الدكتور طه حـسـين و عـبـاس مـحـمـود الـعقاد و محمد حسين هيكل و محمد كامل موسى و أحـمـد حـسن الـزيـات و عـبـد الـحميد الخطيب و فتحى رضوان و أحمد زكى و الـذين أخـذوا على عاتقهم عناء ترجمة آثاره إلى العربية هم عبد الوهاب عزام و حـسـين مـجـيـب الـمـصرى و محمد سعيد جمال الدين و عبد الحميد ابراهيم سـمـيـر و الصاوى على شعلان و أميرة نور الدين و طه عبد الباقى و حميد مجيد و نـجـيـب الـكـيـلانـى و لمزيد من التفاصيل أشير إلى المقالة الغنية التي كتبها الـبـروفـيـسـور نـثـار أحمد الفاروقى بعنوان "اقبال في العالم العربي" في مجلة ثـقـافـة الـهـنـد(٨). و يـرجـع الفضل إلى مولانا أبى الكلام آزاد الرئيس المؤسس

للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية في إيصال التراث الهندي القديم إلى القراء العرب، فهو الذي استقدم لتحقيق هذا الغرض وديع البستانى الأديب اللبنانى و أو كل إليه مهمة ترجمة الآثار الهندية التي تستحق المتابعة، فقام هذا الأديب بترجمة الأساطير الهندية باسم "أخبار الآلهات" و مازالت هذه الترجمة في شكل مسودة لم تر النور بعد، ثم ترجم مسرحية شهيرة لمؤلفها كاليداس باسم "الشاكنتلا" و نشرت هذه الترجمة من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية عام ١٩٦٦م، ثم ترجم رامايانا لفالميكى باسم رامايانا و لم تنشر هذه الترجمة بعد، كما ترجم الملحمة الهندية المهابهارتا بنفس الاسم.

**القسم الثاني: التراجم العربية التي قام بها الهنود:**

إذا كانت قائمة القسم الأول طويلة فقائمة هذا القسم أطول و تحتوى على التراث الهندي و التراث الاسلامى الهندي المكتوب باللغة الهندية و الأردية، لقد شعر الهنود بعد نيل استقلالهم من بريطانيا بضرورة إيصال ثقافتهم و معارفهم إلى من لا يعرفون اللغات الهندية و لهذا الغرض أنشأواالمجلات باللغات الأجنبية و منها مجلة ثقافة الهند العلمية و الثقافية التي تضاهي أخواتها الصادرة من البلدان العربية في المستوى و المضمون و تعد منذ بدايتها في عام ١٩٥٠م من أرقى المجلات العربية يكتب فيها كبار العلماء و المفكرين من داخل الهند و خارجها، فان هذه المجلة خلال عمرها المديد سعت سعيا مشكوراً لنقل كافة ألوان الثقافة و الحضارة الهندية على نحو يصعب حصرها و تحمل في طياتها موساعاتٍ نادرةً عن الهند و ثقافتها و حضارتها و علومها و فنونها القديمة و الحديثة و يعتمد عليها كثير من المثقفين العرب في معلوماتهم عن هذا البلد العريق و لا يفوتنى أن أذكر في هذا المقام المجلات العربية الأخرى الصادرة عن الهند و هي مجلة البعث الاسلامي , مجلة صوت الأمة و مجلة

الداعي، هذه المجلات كلها تسعى جاهدة إلى تعريف العالم العربي بالانجازات العلمية و الفكرية التي حققها أبناؤ هذه البلاد، و الآن أذكر بالترتيب الابجدى المؤلفين الهنود الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى العربية و هم سماحة العلامة أبو الحسن علي الندوي و مولانا أمين أحسن الاصلاحي و ان . اس رادها و رضية اسماعيل و رنجا ناسين غوبتا و مولانا عبد البارى الندوي و مولانا محمد اسماعيل السلفي و مولانا محمد اسماعيل الشهيد و مولانا محمد تقى الأمينى و مولانا محمد زكريا و القاضى محمد سليمان المنصور بورى و مولانا محمد منظور النعمانى و كشاف ملك و الدكتور نثار أحمد الفاروقى و مولانا وحيد الدين خان.

### مؤلفات العلامة أبى الحسن على الندوي:

لا يخفى علينا الشعبية الكبيرة و الشهرة الطيبة التي يتمتع بها سماحة العلامة في البلدان العربية كمفكر اسلامى بفضل مؤلفاته القيمة و أفكاره الدعوية و هو من قلائل المؤلفين الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى عدة لغات و منها العربية و نذكر بكل إيجاز مؤلفاته الاردية التي نقله إلى العربية الأستاذ سعيد الرحمان الاعظمى الندوى، و هي: (١) دو هفتى تركى مين" باسم "أسبوعان في تركيا" (٢) "تاريخ دعوت و عزيمت الجزء الثانى" باسم "حياة شيخ الاسلام الحافظ بن التيمية" نشر هذا الكتاب من دار القلم الكويت (٣) "دين اسلام اور اولين مسلمانون كى دو متضاد تصويرين" باسم "صورتان متضادتان عند أهل السنة و الشيعة" (٤) بندرهوين صدى هجرى ماضى و حال كى آئينه مين" باسم "القرن الخامس عشر الهجرى في ضوء التاريخ و الواقع" (٥) جزء من كتاب "مسلم ممالك اور مغربيت مين كشمكش" باسم "الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية في الاقطار العربية" كما نقل الأستاذ نور عالم خليل الامينى

(١) كتاب "مولانا الياس اور ان كى دينى دعوت" باسم "الشيخ محمد الياس و دعوته الدينية" حجم عادى، و عدد الصفحات ١٧٥، نشر من المجمع العلمى الاسلامى بلكناء (٢) كتاب "دو هفتى مراكش مين" باسم "أسبوعان في المغرب الاقصى" حجم عادى، عدد الصفحات ١٢٠، نشر من المجمع العلمى الاسلامى بلكناؤ (٣) كتاب "اسلام كى سياسى تعبير" باسم "التفسير السياسى للاسلام" حجم عادى، عدد الصفحات ١٢٥، و نشر من المجمع العلمى الاسلامى بلكناؤ. و نقل الاستاذ سلمان الحسينى الندوى: (١) كتاب "الجزء الرابع من تاريخ دعوت و عزيمت" باسم "الإمام السرهندى حياته و أعداله" حجم عادى، عدد الصفحات ٢٤٢ و طبع من دار القلم الكويت (٢) كتيب "حديث كا بنيادى كردار" باسم "دور الحديث في تكوين المناخ الاسلامى" حجم عادى، عدد الصفحات ٤٨، نشر من المجمع العلمى الاسلامى بلكناء (٣) كتاب "كاروان زندكى" باسم "في مسيرة الحياة" بجزئين حجم عادى، اجمالى عدد الصفحات ٤٦٣ و طبعا من دار القلم دمشق عام ١٩٩٠م.

- **مؤلفات مولانا أمين أحسن الاصلاحى:**

تُرجم كتابان لهذا المؤلف الأول كتاب "اسلامى حكومت كى سربراهون كى ذمه داريان" نقله إلى العربية الأستاذ سعيد الرحمان الاعظمى الندوى باسم "مسئولية القادة الحكام في الدولة الإسلامية" و الثانى كتاب "دعوت دين كا طريقه" نقله إلى العربية الأستاذ نور عالم خليل الامينى باسم "الدعوة إلى الله" حجم عادى، عدد الصفحات ٢٠٠، كما ترجم الأستاذ الأمينى كتاب "من الظلمات إلى النور" للسيد غازى أحمد باسم "مأساة شاب مسلم اعتنق الاسلام" حجم عادى، و عدد الصفحات ١٥٠.

**مؤلفات مولانا عبد الباری الندوی:**

تُرجم كتابان لهذا المؤلف أحدهما كتاب "تجديد تصوف و سلوك" نقله إلى العربية الأستاذ محمد الرابع الحسنی الندوي باسم "بين التصوف و الحياة" حجم عادی، عدد الصفحات ٢٥٢، طبع من دار الفتح دمشق عام ١٩٦٣م و ثانيهما كتاب "مذهب و عقليت" نقله إلى العربية الأستاذ واضح رشيد الندوي باسم "الدين و العلوم العقلية" حجم عادی، طبع من دار ابن حزم بيروت.

**مؤلفات مولانا محمد تقی الأمینی:**

نقل الدكتور مقتدى حسن الأزهری أربعة كتب لهذا المؤلف منها: (١) كتاب "اسلام كی تشكيل جديد" باسم "الاسلام و تشكيل جديد للحضارة" حجم عادی، عدد الصفحات ٣١٢، طبع من دار العلوم للطباعة و النشر عام ١٩٨٢م (٢) كتاب "عروج و زوال كا الهی نظام" باسم "النظام الالهی للرقی و الانحطاط" حجم عادي، عدد الصفحات ١٦٢، طبع من دار الصحوة للنشر، القاهرة (٣) كتاب "الحاد اور اس كا تاريخی بس منظر" باسم "الإلحاد و خلفيته التاريخية" حجم عادي، عدد الصفحات ١٨٣، طبع من دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة. (٤) باسم "بين الانسان الطبيعی و الانسان الصناعی، حجم عادي، عدد الصفحات ١٨٨، طبع دار النصر للطباعة الاسلامية، القاهرة عام ١٩٨٢، و فضلاً عما جاء اعلاه ترجم الدكتور الأزهری كتب المؤلفين الآخرين منها كتيب "عالم بشريت كی لئ سيرت طيبه كی اهميت" للدكتور نثار أحمد الفاروقی باسم "أهمية السيرة الطيبة لعالم البشرية" حجم عادی، عدد الصفحات ٧٤، طبع من إدارة البحوث الاسلامية ببنارس، و منها كتاب "رحمة للعالمين" لمؤلفه القاضی محمد سليمان المنصور بوری و الكتاب يقع في ثلاثة مجلدات ضخمة، ترجم منها المجلدين الأول و الثالث باسم "رحمة للعالمين" كما ترجم كتاب "تحريك

آزادي فكر اور حضرت شاه ولى الله كى تجديدى مساعى" لمؤلفه الأستاذ محمد اسماعيل السلفى باسم "حركة الانطلاق الفكرى و جهود الشاه ولى الله في التجديد" حجم عادى، عدد الصفحات ٥٣٦ طبع من إدارة البحوث الاسلامية ببنارس عام ١٩٦٨.

**مؤلفات الشيخ محمد زكريا:**

من مؤلفات الشيخ التي ترجمت إلى العربية كتاب "راه اعتدال" نقله إلى العربية الأستاذ سعيد الرحمان الاعظمى باسم "أسباب سعادة المسلمين و شقائهم" و طبع هذا الكتاب أكثر من مرة من لكناؤ و كراتشى و بيروت و القاهرة، و منها كتاب "فضائل تبليغ" نقله إلى العربية الأستاذ محمد الرابع الندوى باسم "فضائل الدعوة و التبليغ لدين الله" حجم عادى، عدد الصفحات ٦٨، طبع من مطبعة الندوة لكناؤ، و منها كتاب "فضائل القرآن" و فضائل درود" نقلهما إلى العربية الأستاذ واضح رشيد الندوى بنفس الأسماء.

**مؤلفات مولانا محمد منظور النعمانى:**

من مؤلفات مولانا النعمانى التي ترجمت إلى العربية كتاب "قرآن أب سى كيا كهتا هى" نقله إلى العربية الاستاذ سعيد الرحمان الاعظمى باسم "القرآن يتحدث إليكم" عدد الصفحات ١٥٠، و منها كتاب "شيخ محمد بن عبد الوهاب كى خلاف بروبكنده و علماءِ حق بر اس كى اثرات" نقله إلى العربية الاستاذ نور عالم خليل الامينى باسم "دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب" حجم عادي، عدد الصفحات ٢٢٥، طبع من المجمع العلمى الإسلامى بلكناؤ.

**مؤلفات مولانا وحيد الدين خان:**

من مؤلفاته التي ترجمت إلى العربية كتاب "إحياء الاسلام" نقله إلى العربية الدكتور محسن العثمانى باسم "قضية البعث الاسلامى" حجم عادى،

عـدد الـصـفـحـات ١٧٥، طـبـع من دار الـصـحـوة لـلـنـشـر، القاهرة عام ١٩٨٤م، و الـمـؤلفات المذكورة أدناه نقلها إلى العربية نجيبه الأكبر الدكتور ظفر الاسلام خـان و هـي: (١) كتاب "مذهب اور جديد جيلنج" المنقول باسم "الاسلام يتحدى" حـجـم عـادى، عـدد الصفحات ٢٦٤، ظهرت له عشرات الطبعات من بيروت و دار الـبـحـث الـعـلـمي الكويت و المختار الاسلامى القاهرة. (٢) كتاب "تجديد دين" المنقول باسم "تجديد علوم الدين" حجم عادى، عدد الصفحات ١٠٦، طبع من دار الـصـحـوة لـلـنـشـر، الـقـاهرة. (٣) كتاب "حقيقت حج" المنقول باسم "حقيقة الـحـج" حـجم عادى، عدد الصفحات ١٢٠، طبع من دار الصحوة للنشر، القاهرة، (٤) كـتـاب "مـاركـسـيـت جـس كو تاريخ رد كرجكى هى" المنقول باسم "سقوط الـمـاركـسـيـة" حـجـم عـادى، عدد الصفحات ١٧٠، و طبع من رابطة الجامعات الاسـلامـيـة. (٥) كـتـاب "مـذهب اور سائنس" المنقول باسم "الدين في مواجهة الـعـلـم" حجم عادى، عدد الصفحات ١٤٠، طبع من دار النفائس بيروت فضلا عما جـاء أعـلاه قام الدكتور ظفر الاسلام خان بنقل عديد من الكتيبات للمؤلف نفسه و مـنـهـا، "نـحـو بـعـث اسلامى" الصادر عن القاهرة عام ١٩٧١م و ظهرت له عدة طبعات و "حكمة الدين" الصادر عن القاهرة عام ١٩٧٣م و ظهرت له عدة طبعات من الـقاهرة و بيروت و "المسلمون بين الماضى و الحاضر و المستقبل" الصادر عن القاهرة.

**التراجم العربية الصادرة عن المجلس الهندى للعلاقات الثقافية:**

إن الـمـجلس الهندى للعلاقات الثقافية لعب و لا يزال يلعب دوراً كبيراً في نـشـر التراجم العربية من حين إلى حين، فهو لـحد الآن نشر ثلاث تراجم للدكتور سـيـد إحـسـان الـرحـمـان و منها "Ramayana" المنقول باسم "موجز راماياناً" حجم عادى، عدد الصفحات ٩٨، و منها كتاب "Gandhi" للسيدة رضية اسماعيل الـمـنـقـول بـاسـم "حياة تستحق العودة إليها" حجم عادى، عدد الصفحات ١٣٢، و مـنـهـا كـتـاب "Collection of Indian short stories" لـلـسـيـد كشاف ملك

المنقول باسم "مجموعة القصص الهندية القصيرة" حجم عادى، عدد الصفحات ٢٣٤. و كذلك نشر المجلس ثلاث تراجم عربية للدكتور عبد الحق و هي كتاب"Vision of India" المنقول باسم رؤيا الهند، حجم عادى، طبع من المجلس عام ١٩٨٣م و كتاب"Introducing India" لمؤلفه أن.اس رادها المنقول باسم "تقديم الهند" طبع من المجلس عام ١٩٨٢م و كتاب " Selected prose and poetry" لمؤلفه سوامي ناثن المنقول باسم "سوبرامانيام بهارتى حياته و شعره الوطنى، حجم عادى، طبع من المجلس عام ١٩٨٢م، و كذلك ترجم الأستاذ عبد الحق كتاب "India" لمؤلفه رنجاناسين غوبتا باسم "الهند في مسيرة التغير"طبع هذا الكتاب من دى بريس سنديكيت لمتيد، نيو دلهي.

## المراجع:


١ـ العلامة عبد الحئ الحسنى، نزهة الخواطر ١٧/١، احمد أمين، ضحى الاسلام الجزء الثانى ص: ١٢٩

٢ ـ أحمد أمين، ضحى الاسلام الجزء الأول ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦

٣ ـ محمد بدران، قصة الحضارة الجزء الثانى ص ١٨١

٤ ـ الدكتور محمد اسماعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند و البلاد العربية ص ٧٢

٥ ـ الأستاذ كراتشكوفيكى، تاريخ الأدب الجغرافى ص ٢٠٩ ـ تاريخ الصلات بين الهند و البلاد العربية ص ١٢٨

٦ ـ الدكتور خليل ابراهيم السامرائى، دراسات في تاريخ الفكر العربي ص ٨٨

٧ ـ لمحات من تاريخ العالم، دار الافاق الجديدة بيروت ص ٧

٨ ـ مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٥، العدد ٢ ـ ٤ عام ١٩٩٤م ص ١٤٤-١٥٠

| | THAQAFAT-UL-HIND | : Statement of ownership and other particulars. |
|---|---|---|
| | | FORM IV |
| | | (See Rule 8) |
| 1. | Place of Publication | Indian Council for Cultural Relations, |
| | | Azad Bhavan, Indraprastha Estate, |
| | | New Delhi - 110 002 |
| 2. | Periodicity of its publication | Quarterly |
| 3. | Printer's Name | Himachal Som |
| | Whether citizen of India? | Yes |
| | Address | Director-General, Indian Council for Cultural |
| | | Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, |
| | | New Delhi - 110002 |
| 4. | Publisher's Name | Himachal Som |
| | Whether citizen of India? | Yes |
| | Address | Director-General, Indian Council for Cultural |
| | | Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, |
| | | New Delhi - 110002 |
| 5. | Editor's Name | Z. A. Farooqi |
| | Whether citizen of India? | Yes |
| | Address | Indian Council for Cultural Relations, |
| | | Azad Bhavan, Indraprastha Estate. |
| | | New Delhi - 110002 |
| 6. | Name and address of | Himachal Som, Director-General, |
| | individuals who own the | Indian Council for Cultural Relations, Azad |
| | newspaper | Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi - 110002 |

I, Himachal Som, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Dated : 28.2.1999

Sd/- Himachal Som
Signature of Publisher